وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة والدعوة والفكر

مُحَاضَرات
في أُصُول الدَّعْوَة والخَطَابَة

إعداد
الأستاذ المساعد الدكتور
محمد محسن راضي

المحاضرة الأولى: التعريف بعلم أُصُول الدعوة وأبرز أسمائه

إنَّ مصطلح (أصول الدعوة) مركب إضافي يتألف من كلمتين: (أصول) و(الدعوة)؛ لذا سنعرِف به بالنظر إلى هذين الجزءين، ثُمَّ من حيث كونه عَلَماً على فنّ مخصوص:

أولاً: تعريف علم أُصُول الدَّعوة كمركب إضافي:

أ- الأصول لُغةً واصطلاحاً:

١- الأُصُوْل لُغةً:

جَمْعٌ أَصْل، ويُطلق على أَسَاسِ الشَّيْءِ، وثَبَاتِه وَرُسُوخِهِ.

وَأَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَسْتَنِدُ وُجُودُ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَيْهِ فَالأَبُ أَصْلٌ لِلْوَلَدِ، وَالأَسَاسُ أَصْلٌ لِلْجِدَارِ، وَالنَّهْرُ أَصْلٌ لِلْجَدْوَلِ، وأَصُلَ، ككَرُمَ، أي: صار ذا أصْلٍ، إذا ثَبَتَ ورسَخَ أصْلُهُ.

٢- الأُصُول اصطلاحاً:

استُعمل (الأصل) اصطلاحاً فيما يستند إليه غيره وينبني عليه ويتفرع عنه، سواء أكان الابتناء حسيّاً كقولنا: الأساس أصل للجدار، أم عقليّاً كابتناء المدلول على الدليل، وأطلق على معان عدة، منها:

الدليل، تقول: الأصل في وجوب الدعوة الكتاب والسنة؛ يعني: الدليل على وجوب الدعوة الكتاب والسنة، ويُطلق ويُراد به: القاعدة الثابتة أو المستمرة، كقولهم: إباحة الميتة على خلاف الأصل، أي على خلاف القاعدة، وهذا الأخير هو المُناسب لموضوعنا.

ب- الدعوة لُغةً واصطلاحاً:

١- الدَّعوة لُغةً:

الدَّعوة لُغةً: من الفعل دعا يدعو، على وزن فَعْلَة، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء واحد الأدعية، والجمع دعاة وداعون، مثل قاض وقضاة وقاضون، تَقُولُ: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ، ومنه: الدَّعْوَةُ إِلَى الطَّعَامِ، وتدور مادة (دَعَوَ) على معنى الطلب والنداء إلى أمر والحث عليه، فمن دعا بالشيء فقد طلب إحضاره، ومن دعا إلى شيء فقد حثَّ على قصده وسأل غيره إن يجيبه إليه، ويأتي لمعانٍ عدة، منها:

- الاستغاثة: ومنه قوله تعالى: ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة:٢٣]، أي استغيثوا بآلهتكم المزعومة.
- التضرع والتوسل والابتهال: ومنه: دعوت الله تعالى، أي ابتهلت إليه بالسؤال.
- العبادة: منه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الأعراف:١٩٤]، أي تعبدون.
- الحثّ على الشيء والسوّق إليه: كقولنا: دعاه إلى اعتقاده، إذا حثَّه عليه، وساقه إليه.
- النداء: يُقال: دعا الرجل فلاناً أي ناداه، والذي يؤذن وينادي الناس يسمى داعي الله.
- السؤال: منه قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا**﴾[البقرة:٦٩]، أي سلْ لنا ربك.

ولابُدَّ أن يُعلم أنَّ التعبير بالدعوة يشمل الدعوة إلى الحق والخير، وكذلك إلى الباطل والشر، ومن استعمالها في الأول: قوله تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ**﴾[الرعد:١٤]، ومن استعمالها في الثاني: قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[يوسف:٣٣].

٢- الدَّعوة اصطلاحاً:

لا شكَّ أنَّ المراد بالدعوة هنا: الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام، ولكن اختلفت عبارات الباحثين في وضع تعريف اصطلاحي للدعوة؛ وذلك لتعدد معانيه، وتضمّنه للجوانب الثلاثة: التبليغ، والتكوين، والتنفيذ (التطبيق)، فركَّز كل فريق على بعض المعاني دون غيرها مما أدى إلى الاختلاف في تعريفها، ويمكن أن نستضيء في وضع تعريف اصطلاحي للدعوة وفق ما بينه الله عزَّ وجلَّ في عمل رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، الداعية الأول للإسلام، وفصَّله في أكثر من موضع في كتابه العزيز، فقال سبحانه وتعالى:﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[الجمعة:٢]، فقد شمل ثلاثة عناصر: فقوله: ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾، تضمَّن: البيان والتبليغ وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة،، وقوله: ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**﴾، تضمَّن: التربية والتعليم، أو ما يُعبَّر عنه عادة في المصطلح الدعوي بـ(التكوين)، وقوله: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، تضمَّن: التطبيق والتنفيذ؛ لأنَّ الكتاب هنا: القرآن الكريم، والحكمة هنا: السنة النبوية، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، والسنَّةُ في حقيقتها: الطريقة، أي: طريقة تطبيق هذا القرآن، فقد أوضحت السنة للمسلمين طريقة تطبيق القرآن على مستوى الأفراد والجماعات.

وفي ضوء ما سبق ويمكن أن نُعرِّف الدعوة اصطلاحاً بأنَّها: **تَبْليغُ النَّاسِ الإسلامَ، وتعليمُهم إيَّاه، وتطبيقُه في واقع الحياة، وِفْقَ الهَدْي النَّبوي.**

ثانياً: التعريف الاصطلاحي لـ(علم أُصُول الدَّعوة):

إنَّ إضافة كلمة: (أصول) إلى: (الدعوة)، يُعطى معنى: الأُسس والقواعد التي يقوم عليها بنيان الدعوة إلى الله تعالى ودينه الإسلام؛ لذلك فهي ليست قاصرةً على قضايا التوحيد وكلياته، ولا مسائل الفقه وجزيئاته، وليست منحصرةً في جانب البلاغ العام من دون التطبيق والالتزام، كما أنَّه لا يُغفِل الآداب والأخلاق، ولا يُهمل دراسة تاريخ الدعوة وأساليبها ووسائلها، وحالتها الراهنة ونوازلها المعاصرة، بل يسير في ذلك كلِّه لتتحقق البصيرة في الدعوة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:١٠٨].

وفي ضوء ذلك يمكن أن نُعرِّف مصطلح **(أُصُول الدَّعوة)**، بأنَّه: **علمٌ يَبْحثُ في الأُسُسِ والقواعدِ التي يُتَوَصَّل بها إلى تَبْليغِ النَّاسِ الإسلامَ، وتعليمِهم إيَّاه، وتطبيقِه في واقع الحياة، وِفْقَ الهَدْي النَّبوي.**

ثالثاً: أسماء علم أُصُول الدَّعوة والكتب المصنفة فيه:

تعددت أسماء هذا العلم وتنوعت وذلك لشرفه وعلو منزلته إذ كثرة الأسماء تدل على عظم قدر المُسَمَّى، ولذلك تنوعت أسماء الكتب المصنَّفة فيه، وفيما يأتي أشهر الأسماء المعاصرة لهذا العلم، وبعض الكتب المصنفة فيه:

أ- الدعوة أو علم الدعوة:

وهو أعم أسماء هذا العلم وأوسعها وأشملها وأكثرها تداولاً واستعمالاً، وباسمه صُنِّفت كتب كثيرة من أهمها على سبيل المثال: دعوة الإسلام، لسيد سابق، الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية، لسليمان مرزوق، الدعوة قواعد وأصول، لجمعة أمين عبد العزيز، الدعوة والداعية لعلي محمد جريشة، المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، وعلى هذا الاسم درج كثير من الكتَّاب والدعاة المعاصرين.

ب- أُصُول الدَّعوة :

وهو ما اعتمدناه في دراستنا هذه، فتدخل أدلة الدعوة ومصادرها وأركانها دخولاً أولياً، ثم يمتد نطاق هذا المصطلح ليشمل أحكاماً وآدابا تتعلق بالدعوة في وسائلها ونوازلها المتصلة بقضية البلاغ، ومن أبرز الكتب التي سُمِّيَت بهذه التسمية: أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، ومعالم في أصول الدعوة، لمحمد يسرى.

ج- مناهج الدعوة:

وهذا اصطلاح يتناول خطط الدعوة ونُظمها، وقد يُتوَّسع في مفهومه فيتناول الأهداف والأصول والقواعد، ومما صُنِّف تحت هذه التسمية: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، لمحمد سرور زين العابدين، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لفاروق عبد المجيد السامرائي، مناهج الدعوة وأساليبها، لعلي جريشة، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، لعلي جابر الحربي.

د- فقه الدعوة:

وهو من أشمل هذه الاصطلاحات موضوعاً وباسمه صُنِّفت كتب كثيرة، منها: فقه الدعوة إلى الله، للدكتور على عبد الحليم محمود، فقه الدعوة، لجمعة الخولي، فقه الدعوة في إنكار المنكر عبد الحميد البلالي، فقه الدعوة والإعلام، لعمارة نجيب.

وهناك مؤلفات أخرى اختصت بدراسة جوانب معينة من الدعوة، منها: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، لعبد الله بن محمد آل موسى، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم لحمد الرحيلي، تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين، لجميل بن عبد الله المصري، تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم، لآدم عبد الله، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، لصلاح الصاوي، خصائص الدعوة الإسلامية، لمحمد أمين حسن، عالمية الدعوة الإسلامية، لعلي عبد الحليم محمود، عدة الداعية المسلم، لحمدان راجح، معالم الدعوة في القصص القرآني عبد الوهاب بن لطف الديلمي، وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها، لحسين محمد عبد المطلب، الوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله، لمحمد أزهري حاتم، وغيرها.

المحاضرة الثانية: نشأة علم أُصُول الدعوة وفضله وأهميته وثمرته

أولاً: نشأة علم أُصُول الدَّعوة:

إنَّ مفردات هذا العلم قديمة قدم الدعوة، فعلم الدعوة لم ينفك عن العمل في منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، الذين ختمهم الله بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مِن بعده الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ثُمَّ التابعون لهم بإحسان، فنشروا الإسلام، وبلغوا فيه كلَّ مبلغ.

وعندما بسط الإسلام ظله، وسطع نوره على الدنيا، ودانت له الأرض اتجهت العلوم وجهة التأصيل والتقعيد، وكان علم الدعوة أبواباً منثورة في كتب السنة ودواوينها حيناً، وفي كتب التفسير وشروحاتها حيناً، وكتب السير والتاريخ والتراجم أحياناً أخرى، ولم يجتمع من ذلك علم بالمعنى الاصطلاحي للعلم؛ لأن مبعث تأصيل العلوم وإفرادها بالتصنيف هو الحاجة إليها، ولم تكن الدعوة إذ ذاك عملاً مهجوراً ولا أمراً مستوراً، إذ كان المجتمع الإسلامي كله ناشطاً بالدعوة إلى الله تسرى روحها في أوصاله وتتنفس رحيقها جنباته، فقد كانت دولة الإسلام آنذاك ترى الدعوة إلى الله أُولى وظائفها في الداخل ومحور علاقاتها في الخارج، بل كانت ترى الدعوة سرَّ وجودها واستمرارها، فترسل الدعاة، وتستقبل الوفود، وتدعو بالحسبة والتغيير وتزيل العقبات إمام الدعوة، فكان المجتمع أفراداً وجماعات حكاماً ومحكومين يتحقق فيهم إجمالاً قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[الحج: ٤١].

وإذا أردنا أن نؤشر بداية التصنيف في هذا العلم، فيمكن أن نقول إنَّه أخذ في بادئ الأمر سمة الوعظ والتذكير والمخاطبة بما يُرقق القلوب ويُزهد في الدنيا ويُرغب في الآخرة، بسبب بُعْدِ الناس عن الله تعالى وانشغالهم بالدنيا، حيث عرفت أبواب الرقائق في عامة كتب الحديث كالصحاح والسنن، ثُمَّ أفردت أبواب الزهد بكتب مستقلة كالزهد للإمام ابن المبارك (ت١٨١هـ)، والزهد للإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، ونحو ذلك مما يشتمل على محاسبة النفس وتهذيبها، ثُمَّ توالى التأليف في ذلك فضرب الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) بسهم وافر في كتابه: منهاج العابدين، وأبواب عدة من كتابه: إحياء علوم الدين، ثُمَّ جاء ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) بكتابه الوعظي: (التبصرة)، وكتابه منهاج القاصدين، وقد صاحب ذلك المؤلفات في العقائد والردود على أصحاب الديانات والنحل الأخرى، وما أُورد على الأمة من شبهات وتشكيك في دينها وعقيدتها.

ولكن الأمة بدأت بالانحدار والتراجع لأسباب عدة، داخلية وخارجية، فضُيِّعتْ الواجبات، واتُبعتْ الشهوات، وأُهمل العلم والعمل على مختلف المستويات، ولم تستفق الأمة إلا على استلاب دولتها، وتفرّق شملها، وتغيّر حالها، واستبدالها بالقوة ضعفاً، وبالعزة ذلاً، وبالغنى فقراً.

إلا أنَّ السبات وإن طال، لا سيما بعد تنحية الشريعة عن واقع الحياة، فلابد – بإذن الله تعالى – من يقظة، والغفلة وإن استمرت فلابد من صحوة، فتنادى المصلحون والدعاة من كل جانب لإعادة استئناف الحياة الإسلامية الحقة؛ ليعود المسلمون إلى سابق عهدهم، وسالف مجدهم، فعادت الدعوة لتبعث الأمة من جديد، فكتب الدعاة والعلماء يشخصون الدَّاء، ويصفون الدواء، وبرزت الحاجة إلى هذا العلم بشدة نظراً لما اكتنف الأمة من جهالة، وما أحاط بالعمل الدعوي

من غموض في بعض مفاهيمه، وخلل في بعض أصوله، واضطراب في مناهجه، وقصور في أساليبه، وجمود في وسائله، وخطورة في نوازله، وعقبات عملية في طريقه تهدف إلى وأده تارة، وتشويهه وتعويقه تارة أخرى، وقامت في العصر الحديث نهضة دعوية، وتيارات إسلامية، وعُرفت المؤسسات الدعوية والإعلامية، وتأسست الكليات الدعوية، والأقسام العلمية في الجامعات الشرعية، كلُّ ذلك خدمة لقضية الدعوة، ولا جرم أنَّ تدوين هذا العلم كان في أوله قاصراً محدوداً، ثُمَّ تكامل واجتمعت أجزاؤه، واتضحت أركانه، فاستوى على سوقه، وأصبح علماً قائماً براسه شأنه شأن بقية العلوم الشرعية الأخرى، وبدأ علم أصول الدعوة يُتداول بهذا الاسم، وتُكتب فيه كتب ودراسات، وتُعدُّ في تأصيله مداخل، وتُدرَّس الدعوة من مختلف جوانبها: فقهاً وتاريخاً ومنهجاً وخططاً ووسائلَ وأساليب.

ثانياً: فضل علم أُصُول الدعوة:

لمَّا كانت الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال وأنفعها عند الله، فإنَّ علم أصولها من أشرف العلوم وأنفعها، وكل فضل ثبت للدعاة عموماً فأرباب العلم والبصيرة بأصول الدعوة وفقهها لهم منه نصيب، ومن ذلك:

١- إنَّ وظيفة الداعية أشرف الوظائف على الإطلاق؛ لأنَّها عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أشرف البشر، وكفى بذلك فضلاً وفخراً وشرفاً، وعظم الوظيفة دليل على عظم صاحبها.

٢- الدعاة هم خير هذه الأمة على الإطلاق، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[آل عمران:١١٠].

٣- الدعاة إلى الله موعودون بالفلاح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٤].

٤- الدعاة قولهم في مضمار أحسن الأقوال، وكلامهم في التبليغ أفضل الكلام، قال الله جلَّ جلاله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[فصلت:٣٣]، ففي هذه الآية استفهام تقريري بمعنى النفي: أي لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته، ولا أحد أحسن كلاماً ولا طريقةً ولا حالةً ممَّن دعا إلى الله، بتعليم العلم النافع، وترغيب الناس في مكارم الأخلاق، ويدخل في هذه الآية كل مَنْ دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق المشروعة.

٥- الدُّعاة إلى الله يشملهم الله برحمته الغامرة، ويخصهم بنعمته الفائقة، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[التوبة:٧١].

٦- الدُّعاة إلى الله أجرهم مستمر، ومثوبتهم دائمة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً**))، رواه مسلم.

٧- إنَّ عمل الدعاة هداية الناس، وهو من خير ما يُنال به الأجر والثواب، فهو خير من إنفاق الاموال النفيسة، كما جاء في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: ((**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**))، متفق عليه، وكفى بذلك فخراً وخيرية.

ثالثاً: أهمية علم أُصُول الدعوة:

إنَّ لتعلم أُصُول الدعوة وممارسته أهمية كبيرة، وفيما يأتي بيان ذلك:

١- معرفة الطريقة النَّبويَّة في إقامة الدين، وكيفية الدعوة إلى الإسلام بشموله: عقيدة وشريعة، ديناً ودولة، والأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية من غير إفراط ولا تفريط.

٢- معرفة الطرق المخالفة للطريقة النَّبويَّة، وفي مقدمتها طريقة مَنْ اتخاذ من القوة العنف المسلح وسيلة إلى ذلك.

٣- تحصيل البصيرة في حال المدعوين على اختلاف أصنافهم وأحوالهم، ومعاملة كلٍّ بما يليق.

٤- تعلم أصول العمل التربوي الفردي والجماعي، وممارسة التربية والتزكية بمراحلها وخصائصها وضوابطها، بما يسهم في بناء الشخصية الإسلامية الصالحة.

٥- اتخاذ القرارات الملائمة بشأن أولويات الدعوة في حدود الزمان والمكان، مما يُعين على تحقيق الأهداف.

٦- حماية الدعوة من إلحاق الضرر بها داخلياً أو خارجياً، واستبانة سبيل المجرمين، وردّ كيد الكائدين.

٧- العمل على تكامل الأعمال الدعوية، والتنسيق بينها، والجمع بين مجهوداتها، والإصلاح بين أربابها.

رابعاً: ثمرة علم أصول الدعوة:

إنَّ ثمرة علم أُصُول الدعوة المرجوة تتمثل بتحقيق غايات الدعوة وأهدافها، سواء أ كانت دنيوية أم أُخروية، ويمكن إيجاز أبرز ثمار تعلم هذا العلم وممارسته عملياً بالآتي:

١- إحياء الإسلام في نفوس أبناء الأمة الإسلامية، ونشره في العالم أجمع.

٢- دحض العقائد الباطلة، والأفكار الزائفة، والسلوكيات المنحرفة، وإظهار السنة وقمع البدعة.

٣- اتخاذ المواقف المناسبة من المنكرات القائمة دفعاً أو تحييداً، مع النظر إلى العواقب والمآلات.

٤- إقامة الحُجَّة، وتمييز الجاهلين والمعاندين، فتستبين سبيل المجرمين، ليعامل كلٌّ بما يلق بحاله.

٥- استكمال عدة النصر المبين، وتحقيق العزة والتمكين للأمة الإسلامية، وبعثها في مواجهة أعدائها.

٦- إقامة الدين، بإعلاء كلمة التوحيد، وتطبيق الشريعة الإسلامية، واستئناف الحكم بها، والتحاكم إليها.

٧- الدعوة صمام أمان، وحبل نجاة للمجتمع، بها ينال المجتمع رضى الله تعالى، فيفوز بسعادة الدنيا والآخرة، وبخلافها يظهر الكفر والضلال، وينتشر الفساد، فتحلّ نقمة الله تعالى وغضبه، نسال الله تعالى العفو العافية.

المحاضرة الثالثة: حكم الدَّعوة إلى الله تعالى

إنَّ أيَّة دعوة أو فكرة إذا لم تجد من يدعو إليها وينشرها ويُبيِّن مزاياها وأهميتها فإنَّها لا تلبث أن تذبل وتضمحل بنهاية حامليها، فما قام دين ولا انتشر إلا بالدعوة، ولا تداعت أركان ملة بعد قيامها وتلاشت إلا بترك الدعوة والتعليم والتذكير بها، فالدعوة للدين، كالماء للحياة؛ **لذا لم يختلف العلماء في وجوب إلى الدعوة إلى الله تعالى من حيث الإجمال**، ولكنهم اختلفوا في نوع هذا الوجوب، وفيما يأتي بيان ذلك.

أولاً: أدلة وجوب الدَّعوة:

اتفق العلماء على وجوب الدعوة إلى الله من حيث الإجمال، وفيما يأتي أبرز الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع.

أ- دلالة الكتاب (القرآن الكريم) على وجوب الدعوة:

ذكر العلماء عدداً من الآيات الدالة على وجوب الدعوة، وفيما يأتي أبرزها:

١- الآيات التي خاطب الله تعالى فيها نبيَّه الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها وعدم التحوّل عنها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً۞وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦]، وقوله: ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ**﴾[القصص:٨٧]، وقوله: ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[الحج:٦٧]، وقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾[الرعد:٣٦].

<u>ووجه الدلالة في هذه الآيات:</u> دخول المسلمين جميعاً فيها؛ لأن الأصل في خطاب الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ دخول أمته فيه، إلّا ما استثني، ولا دليل على استثناء الدعوة إلى الله تعالى واختصاصها به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فكانت الأمة داخل في وجوب تحمّل الدعوة أيضاً، ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرَّفها أن أشركها مع رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في وظيفة الدعوة إليه.

٢- قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٤].

<u>ووجه الدلالة:</u> أنَّ قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ**﴾، ظاهر في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل الدعوة إلا أمر بمعروف ونهي عن منكر؟ فأعظم معروف يُدعى إليه: توحيد الله تعالى، وأعظم منكر يُنهى عنه: الشرك بالله تعالى.

٣- قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[آل عمران:١١٠].

<u>ووجه الدلالة:</u> أنَّ هذه لآية الكريمة أفادت معنيين: الأول: خيرية هذه الأمة، والثاني: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول ابن عطية (ت٥٤٢هـ): "يتنزل هذا منزلة التعليل لأمرهم بالدعوة إلى الخير وما بعده، فإنَّ قوله: ﴿ **تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ حال من ضمير كنتم، فهو مؤذن بتعليل كونهم خير أمة فيترتب عليه: أنَّ ما كان فيه خيريَّتهم يجدر أن يفرض عليهم، إن لم يكن مفروضاً من قبل، وأن يُؤَكَّد عليهم فرضه، إن كان قد فرض عليهم من قبل، ويقول القرطبي: "قوله تعالى: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم".

٤- قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة:٦٧]، ثم قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٧١].

ووجه الدلالة: أنَّ الله تعالى جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ويدعون إلى غيره، قال القرطبي (ت٦٧١هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة: "فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدلَّ على أنَّ أخصَّ أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام".

ب- دلالة السُّنَّة النَّبويّة على وجوب الدعوة:

استدل العلماء على وجوب الدعوة إلى الله بأحاديث كثيرة، نذكر منها:

١- عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**))، رواه الخمسة، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**))، رواه الإمام أحمد، والترمذي.

وجه الدلالة: أنَّ الحديثان فيهما أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوعد بالعقاب على تركه والتهاون فيه، وهذا يدل على وجوب الدعوة.

٢- عن أبي بكرة رضي الله عنه: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**))، رواه البخاري.

وجه الدلالة: أنَّ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**))، فيه أمر بالتبليغ، وهو يدل على الوجوب.

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**))، رواه مسلم.

وجه الدلالة: أنَّ الحديث فيه أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يدل على الوجوب.

ب- دلالة الإجماع على وجوب الدعوة:

أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن نقل الإجماع ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، حيث قال: "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم"، والنووي (ت٦٧٦هـ) في شرح لصحيح مسلم فقال: "وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة".

ثانياً: اختلاف العلماء في نوع وجوب الدَّعوة:

بعد اتفاق العلماء على وجوب الدعوة اختلفوا في نوع هذا الواجب هل هو فرض عين أو فرض كفاية؟ وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- أقوال العلماء في نوع وجوب الدَّعوة:

القول الأول: إنَّ الدعوة فرض عين:

المراد بفرض العين، هو: ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً من كل فرد من أفراد المكلفين، فالمنظور إليه هنا هو المكلف نفسه، فلا يسقط الفرض من ذمَّة المكلف إلا إذا قام به، فلا يكفي أن يقوم به البعض دون البعض، مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، ....

استدل القائلون بأنَّ الدعوة إلى الله تعالى فرض عين على كل مسلم، بأدلة عدة تستند في مجملها إلى العموم في الآيات والأحاديث السابقة التي نصت على وجوب الدعوة، فذهبوا إلى أنَّ: "مِنْ"، في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٤]، هي للبيان وليست للتبعيض، وذلك بقرينة الأدلة الأخرى، فتُفيد هذه الآية عندهم العموم وتوجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته، واستدلوا أيضاً بعموم قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ...﴾، فجعلت الآية الدعوة سِمةً عامة من سمات الأمة المسلمة، فتكون واجبة عليها جميعاً، واستدلوا أيضاً بعموم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً** ...))، فإنَّ "مَنْ" مِنْ ألفاظ العموم فيعمُّ الحكم كل الأمة، هكذا بقية الأدلة التي سبق الاستدلال بها على وجوب الدعوة .

القول الثاني: إنَّ الدعوة فرض كفاية:

المراد بفرض الكفاية، هو: ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً من جماعة المكلفين، بحيث إذا أقامه البعض سقط عن الباقين، فالمنظور إليه هو الفعل نفسه، بصرف النظر عمَّن قام به، فإذا وُجد الفعل فقد برِئت الذمة، مثل: غَسل الميت، وكفنه، والصلاة عليه، ودفنه، ومثل: وجود فقهاء وأطباء ومهندسين، ...

١- استدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [آل عمران:١٠٤]**، فذهبوا إلى أنَّ: "مِنْ" جاءت هنا للتبعيض، وليس البيان، ومن ثمَّ فالمراد لتكن منكم جماعة أو فرقة، وهذا يدل على الوجوب الكفائي.

٢- احتجوا بقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[التوبة:١٢٢]، فالآية تُفيد أنَّ التكليف متوجه للعلماء، وهم بعض الأمة وليس كلها، ومن ثم فالدعوة فرض كفاية.

٣- واحتجوا أيضاً بأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقين، إلى غير ذلك من أدلة.

ثالثاً: الرأي الراجح في نوع وجوب الدعوة:

على الرغم مما قد يُتصور من البعد بين هذين الرأيين، إلا أنَّ من يتتبع القولين وأدلتهما يخلُص بنتيجة مفادها: إنَّ الخلاف بينهما أشبه بالنظري، وأنَّه يَضيق في الجانب العملي حتى يكاد ينعدم، وذلك لما يأتي:

١- اتفاق الطرفين على أصل الوجوب.

٢- يمكن الجمع بين القولين بتقسيم الدعوة إلى خاصة وعامة، فالخاصة في بيت الرجل وبين أهله وفي سلطانه، وهي واجب عيني لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))، متفق عليه، أمَّا دعوة سائر المسلمين، فهي واجب كفائي، يقول ابن كثير(ت٧٧٤هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٤]: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم، ...، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**))."

٣- إنَّ الذين قالوا بالوجوب الكفائي، يتفقون مع الآخرين بأنَّه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع.

٤- إنَّ الذين قالوا بالوجوب العيني، قيّدوا الوجوب بالاستطاعة، لقوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا**﴾[التغابن:١٦]، ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**))، متفق عليه، فمَنْ لم يكن عالماً بحكم المنكر لا يُعدُّ مستطيعاً بالاتفاق، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد.

٥- إنَّه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية، بقى حكم الندب، فيُندب لجميع المسلمين القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]، وبغير ذلك من نصوص شرعية تُرغب في الدعوة وترتب على فعلها الثواب العظيم.

وفي ضوء ما سبق فإنَّ الراجح في حكم الدعوة إلى الله تعالى أنَّها واجبة على كل مسلم ومسلمة، وهي من حيث تعلُّقها بالفرد واجب عيني، أمَّا من حيث تعلُّقها بالجماعة فواجب كفائي، مع الأخذ بالاعتبار أنَّه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن جميع المكلفين.

رابعاً: القَدَر الواجب في الدَّعوة ووقتها:

أ- القدر الواجب في الدَّعوة:

وإذ تبيّن أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم، **فإنَّ هذا الواجب يتحدَّد بقدر حال الداعي وقدرته**، وبقدر قدرة المسلم على الدعوة والتنفيذ يكون واجبه في الدعوة إلى الله ومسؤوليته عن ذلك؛ لأنَّ القدرة هي مناط الوجوب وقدره، فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر قدرته، ويدخل في مفهوم القدرة العلم والسلطان، فيجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على ذي السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين.

ب- وقت الدعوة إلى الله تعالى:

إنَّ واجب الدعوة إلى الله ليس له وقت محدَّد كالصلاة والصيام؛ ولهذا على المسلم أن يؤدي هذا الواجب في كل وقتٍ، وفي جميع أحواله وظروفه، قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً۞وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً۞ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً۞ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾[نوح:٥-٩]، وكذلك كان رسولنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سرَّاً وجهاراً، ولم يشغله شيء عن الدعوة إلى الله تعالى.

المحاضرة الرابعة: شُبُهَات حول الدَّعوة ووجوبها

تذرع البعض بشبهات عدة لتسويغ قعودهم عن الدعوة إلى الله تعالى، أو تحييدها وحصرها في جوانب معينة، وفيما يأتي أبرز هذه الشبهات[1] مع الجواب عليها:

الشبهة الأولى: إنَّ معنى الدَّعوة يقتصر على التبليغ والبيان:

هناك مَنْ قَصَر معنى الدعوة على التبليغ والبيان فحسب، ونظر إلى التعليم والتطبيق على أنَّها أمور خارجة عن الدعوة، مستدلاً على زعمه بقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[المائدة:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا

[1] بقية الشبهات يقدمها الطلاب، كتقارير.

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[النور:٥٤]، ونحوها من الآيات الكريمة، وفهموا أنَّ هذه الآيات وأمثالها تحصر عمل الرسل الكرام والدعاة في جانب التبليغ فقط.

والجواب على هذه الشبهة كالآتي:

إنَّ هذه الآيات القرآنية وأمثالها وردت في سياق إعراض الناس عن الدعوة، فحيث يُعرضُ المدعُوون عن الدعوة لا يُكلَّفُ الرسل والدعاة إلا بالبيان والتبليغ فقط، ولو نظرنا في الآيات نفسها التي استُدل بها لهذه الشبهة، لرأينا معظمها يُصرِّح بهذه الحقيقة، ويُعلِّق حصر عمل الرسول بالبلاغ على إعراض الناس وتوليهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[آل عمران:٢٠]، ﴿**فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[المائدة:٩٢]، ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾[الشورى:٤٨].

أمَّا حين يستجيب المدعُوون للدعوة، ويُقبل الناس على الإسلام، فعلى الداعية تعليمُهم دينهم، والسعي لتطبيق هذا الدين في حياتهم، كما كان يفعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مع مَنْ استجاب له في مكة المكرمة، حيث كان يجتمع بهم في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ليعلمهم دينهم ويزكيهم، وكما كان يفعل إذا أسلم شخص عنده، فيقول لأصحابه: ((**فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ**))، رواه الطبراني في الكبير.

وهكذا يكون الجمع بين دلالة هذه الآيات القرآنية مع دلالة الآيات والنصوص والمواقف الأخرى التي نصَّتْ على أعمال الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ من تلاوة لآيات الله تعالى، وتزكيةٍ، وتعليمٍ للكتاب والحكمة، كما تنسجم مع الواقع العملي لدعوة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته، وواقع دعوة أصحابه وأتباعه من بعده.

الشبهة الثانية: إنَّ واجب الدعوة غير ملزم إلا للعلماء:

يتوهم البعض أنَّ واجب الدعوة إلى الله لا يلزمه؛ لأنَّه ليس من رجال الدين، وأنَّ هذا الواجبَ كفائيٌ يجب على العلماء فقط لا على الجميع، ثُمَّ يحتج بقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٤].

تقوم هذه الشبهة على أمرين: الأول يتعلق بكون الدعوة مشروطة بالعلم، ويتعلق الثاني بالواجب الكفائي، **وفيما يأتي الجواب على ذلك:**

أ- التنصل من الدعوة بذريعة كونها مشروطة بالعلم:

<u>والجواب على ذلك:</u>

لاشكَّ أنَّ الدعوة مشروطة بالعلم، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزَّأ ولا يتبعَّض، وإنما هو بطبيعته يتجزَّأ ويتبعَّض، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية، ومعنى ذلك أنَّه يُعَدُّ من جملة العلماء بالمسألة الأولى، وبالتالي يتوفَّر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء أنَّ من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنَّه لا يدعو إليه؛ لأنَّ العلم بما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة، وعلى هذا فكلّ مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه، وبهذا يظهر فساد قول من قال: إنَّ المقصود بالعلماء هم الذين نالوا حظّاً كبيراً من العلم دون

سواهم، وقد يسمونهم بـ"رجال الدين"، مع أنَّ هذا المفهوم يصدق على كل مسلم، فكل مسلم هو من رجال دين الإسلام، فليس مقصوراً على فئة المتخصصين منهم، بل نسميهم: علماء، فقهاء، مجتهدين.

ب- التنصل من الدعوة بحجة كونها واجباً كفائياً ومن ثَمَّ هي تجب على العلماء فقط:

<u>والجواب على ذلك:</u>

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى حتى لو قلنا: إنَّها من فروض الكفاية، أي: إذا أقامه البعض سقط التكليف عن البعض الآخر، فهو في الأصل واجبٌ على جماعة المسلمين، وعليهم أن يعملوا لتحقيق هذ الفرض، وشرط الخروج من عهدة الفرض الكفائي حصول الكفاية بمَنْ يقوم به، ولمَّا كانت الكفاية غير حاصلة، فعلى القادر فعلاً أن يقوم بهذا الفرض مباشرة، فقوله تعالى في الآية: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، يعني: أن يقوم المسلمون بإعداد هذه "الأمة"، أي: الجماعة المتصدية للدعوة إلى الله، وأن يعاونهم غيرهم بكل الوسائل ليتحقق المقصود من قيامهم، وهو إقامة دين الله ونشر دعوته، فإن لم يفعل المسلمون ذلك أثم الجميع، المؤهل للدعوة وغيره، فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته، لا سيما في زماننا، فقد عمَّ الفساد بين المسلمين وزادت الهوة بينهم وبين دينهم، وكذلك لا يزال الشرك والوثنية والجاهلية تغشى مجتمعات بشرية كثيرة في أفريقيا وأمريكا، وغيرها من أقطار الأرض المختلفة، ونشر الدعوة إلى الله في هذه المجتمعات الجاهلية يحتاج إلى جهود جبَّارة يشترك فيها المسلمين جميعاً كلٌّ حسب استطاعته، بماله أو تعليمه، أو بفكره، أو بسلطانه.

الشبهة الثالثة: إنَّ المرء معفوٌ من الدعوة ما دام في نفسه صالحاً مهتدياً:

وقد يتشبث البعض بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[المائدة:١٠٥]؛ ليتنصَّل من واجب الدعوة إلى الله، ويبرِّر قعوده وتقاعسه، متوهماً أنَّ الآية تُعفيه من تكليف الدعوة إلى الله ما دام هو في نفسه صالحا مهتدياً.

<u>والجواب على ذلك:</u>

إنَّ هذا الوهم تسرَّب إلى البعض في عهد خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أبي بكر الصديق رضي الله عنه فخطب في الناس وقال: (يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها على غير ما وضعها الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يُنْكِرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**)).

ثم إنَّ في الآية نفسِها ما يُؤكِّد وجوب الدعوة إلى الله تعالى على كل مسلم، وينفي الوهم الذي يتشبث به القاعدون، ذلك أنَّ الله تعالى قال في الآية: ﴿**إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾، والاهتداء إنَّما يتمُّ بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات لم يضرّه ضلال الضَّالين.

الشبهة الرابعة: إنَّ الدعوة لم تعد تنفع شيئاً لأنَّ الباطل انتشر في الأرض:

ومن الشبهات أيضاً زعمهم: إنَّ الباطل انتشر في الأرض، ولم تعد الدعوة إلى الله تنفع شيئاً، وعلى المسلم أن يهتمَّ بخاصة نفسه ويدع أمر الخلق.

<u>والجواب على ذلك:</u>

إنَّ الواجب على المسلم هو القيام بواجب الدعوة إلى الله، سواء حصل المقصود واستجاب الناس أم لم يستجيبوا، وقد حصلت هذه الشبهة لأقوام سالفين قصَّ الله تعالى لنا من أخبارهم، وكيف أنَّ الدعاة إلى الله ردُّوا عليهم شبهتهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ۞فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[الأعراف:١٦٤-١٦٥]، والآية الكريمة تشير إلى أهل قرية صاروا ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المعاصي، وفرقة أنكرت عليهم ووعظتهم، وفرقة سكتت عنهم فلم تفعل ولم تَنْهَ، ولكنها قالت للمُنكِرة: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً**﴾ أي: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنَّهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله، فلا فائدة في نهيكم إياهم، فقالت الفرقة المُنْكِرة، بالجواب الصحيح: ﴿**مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ**﴾ أي: فيما أخذ علينا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن نعتذر إلى ربنا، لا نملك إلّا أن ندعو هؤلاء العصاة للإقلاع عن معصيتهم والإنابة إلى ربهم ﴿**وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ أي: ولعلَّ هذا الإنكار عليهم، ودعوتنا إياهم للإنابة إلى ربهم والرجوع إليه، يدفعهم للاستجابة، وفي هذا إشارة إلى أنَّه ما دام هناك احتمال قبول الدعوة فلا بُدَّ من استمرار الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى؛ ليحيا من حيّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

المحاضرة الخامسة: مصادر علم أصول الدَّعوة وروافده

إنَّ النهج الصحيح في العمل الدعوي هو المُسْتَقَى من المصادر التي حددها الشرع، والتمسك بهذا النهج ضروري لكلِّ داعٍ ولازم له، وواجب عليه؛ لأنَّ الإسلام يقضي به، والواجب على المسلم أن يتمسَّك بما يقضي به الدين، كما أنَّ التزام هذا المنهج الصحيح يقرِّب من الغاية ويوصِّل إلى المطلوب، و يمكن إجمال هذه المصادر بالآتي: القرآن الكريم، السنة والسيرة النبوية المطهَّرة، سيرة السلف الصالح، استنباطات الفقهاء، تجارب العلماء والدعاة، فيما يأتي بيان مُوجز لكل منها:

أولاً: القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تتعلق بأخبار الرسل الكرام وما جرى لهم مع أقوامهم، وما خاطب الله تعالى به خاتمهم سيدنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ من أمور الدعوة إليه، وهذه الآيات الكريمة يُسْتَفاد العمل الدعوي ووسائله التي يجب أن يفقهها المسلم كما يتفقَّه أمور الدين الأخرى؛ لأنَّ الله تعالى ما قصَّها علينا وأخبرنا بها إلّا لنستفيد منها، ونتزود من معانيها ما يعيننا على الدعوة إلى الله، ونلتزم بنهجها، قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[هود:١٢٠]، أي أنَّ كل الأخبار التي قصَّها الله على سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ من أنباء الرسل المتقدمين من قبله مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجَّات

والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما يُثبت به قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ليكون له فيمن مضى من إخوانه المرسلين أسوة.

ولا شكَّ أنَّ المسلمين يقتدون برسولهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وفيما كان يتأسَّى به من سيرة المرسلين في أمور الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[يوسف:١١١]، ففي قصص السابقين من أمم الأرض وما جرى عليهم وما جرى لأنبيائهم معهم عبرة وموعظة لأصحاب العقول السليمة، وهداية ورحمة للمؤمنين بالله ورسوله، فهم الذين يعتبرون بما قصَّه الله عن الماضين ويتعظون به؛ لأن الإيمان قد فتح قلوبهم للحق، وأرهف حسَّهم لمواضع العبرة ومعاني الموعظة، وقال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾[الأنعام:٩٠]، فهذه الآية الكريمة تشير إلى لزوم الاقتداء بنهج رسل الله في الدعوة إليه.

ثانياً: السنة والسيرة النَّبويَّة المطَّهرة:

في السنة النبوية أحاديث كثيرة تتعلَّق بأمور الدعوة وأساليبها وسائلها، كما أنَّ السيرة النبوية المطهرة وما جرى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في مكة والمدينة، وكيفية معالجته للأحداث والظروف التي واجهته، كل ذلك يعطينا مادَّة غزيرة جدَّاً في العمل الدعوي؛ لأنَّ الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمرَّ بها الداعي في كل زمان ومكان، فما من حالة يكون فيها الداعي، أو أحداث تواجهه، إلّا ويوجد نفسها أو مثلها أو شبهها أو قريب منها في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فيستفيد الداعي منها الحل الصحيح والموقف السليم الذي يجب أن يقفه إذا ما فقه معاني السيرة النبوية، وقد يكون من حكمة الله ولطيف لطف الله أن جعل رسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يمرّ بما مرَّ به من ظروفٍ وأحوال، حتى يعرف الدعاة المسلمون كيف يتصرَّفون، وكيف يسلكون في أمور الدعوة في مختلف الظروف والأحوال اقتداءً بسيرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ.

فالسيرة النبوية والتوجيهات النبوية تطبيقات عملية لما أمر الله به رسوله في أمور الدعوة وتبليغ الرسالة، صالحةٌ للتطبيق في كل عصر وكل مكان، وفي فكل جانب من جوانب الحياة؛ لأنَّها سيرة بعيدة عن الخيالات والمثاليات، فمن أراد الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ رجلاً وزوجاً، وجد في سيرته خير مثال لخير رجل وخير زوج، ومن أراد الاقتداء به داعية ومعلماً، وجد في سيرته خير الدعاة وقدوة المعلمين، ومن أراد الاقتداء به إماماً وقائداً، وجد في سيرته خير قدوة في سياسة الأمور وتدبيرها، ومن هنا: قامت الحجة بها على جميع الناس على مختلف مستوياتهم وكانت مناراً واضحاً لكل من أراد الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ممن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً، فلا يجوز للداعي أن يغفل عنها.

ثالثاً: سيرة السلف الصالح:

وفي سيرة سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، سوابق مهمة في أمور الدعوة يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى؛ لأنَّ السلف الصالح كانوا أعلم عن غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله، وما زال أهل العلم يستدلون بسيرتهم.

لقد أخبر الحق تبارك وتعالى بأنَّه رضي عن الصحابة من السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وأنَّهم رضوا عنه، فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠]، فمَنْ أراد نيل رضاه الله سبحانه والفوز يوم القيامة والنجاة من النار فما عليه إلا أن يتبع هذه الثُّلة المباركة من الصحابة رضي الله عنهم ويقتفي أثرها، فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، واضح في الدلالة على وجوب اتباع منهج الصحابة من السابقين الأولين والاهتداء بسيرتهم؛ لكونهم اتبعوا ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير؛ لذلك كان الصديق رضي الله عنه إذا لم يجد الحكم في الكتاب، والسنة يدعو كبار الصحابة وعلماءهم، فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى به، وكذلك فعل الفاروق رضي الله عنه.

وقد خصَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ الخلفاء الراشدين الأربع: (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) رضي الله عنهم، بمزيد التأكيد اتباعهم، فوصف خلافتهم بأنَّها على منهاج النبوة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضّاً، ...**))، الحديث، فهذه الأحاديث وصفت خلافة هؤلاء الأربعة بخلافة النبوة، وأنَّها على منهاج النبوة، فكانت سنتهم متبعةً كسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ولاسيما فيما اتفقوا عليه وسنُّوه للناس من بعدهم، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**))، رواه أبو داود.

رابعاً: استنباطات الفقهاء والعلماء:

إنَّ الدعوة الإسلامية ليست نصوصاً جامدة، ولا تقتصر على الأعمال والأحكام الثابتة، وإنما هي بجانب ذلك أفهامٌ بشرية، واستنباطاتٌ عملية، وموازنات دقيقة لا يُحسنُها إلا أهلها، ومن لهذه الموازنات والأفهام، إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد جاء في الحديث: ((**العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**))، رواه أبو داود والترمذي، فهم يعنون باستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها الشرعية، ومن هذه الأحكام ما يتعلق بأمور الدعوة إلى الله، مثل أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والحسبة، ...الخ، وقد أفردوا لهذه الأحكام أبواباً خاصَّة في كتبهم الفقهية؛ لأنَّ الوسائل والأساليب في الدعوة من أمور الدِّين، شأنها شأن: مسائل العبادات والمعاملات.

خامساً: التجارب الشخصية ووقائع العلماء والدعاة:

التجربة معلم جيد للإنسان، لا سيما لمن يعمل مع الناس، فيكتسب الداعي تجارب كثيرة في مجال الدعوة هي حصيلة عمله المباشر مع الناس، ومباشرته للوسائل فعلاً في ضوء ما فهمه من المصادر السابقة؛ لأنَّ التطبيق قد يظهر له وجه خطئه فيتجنَّبه في المستقبل، وقد يكون الثمن غالياً، ولكن ما يتعلمه من التجارب أغلى من الثمن المدفوع إذا انتفع من التجارب حقّاً، وهذا هو المأمول من المؤمن، فإنَّ المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين.. وكما أنَّ الداعي يستفيد من تجاربه الخاصة، يستفيد أيضاً من تجارب الآخرين في مجال الدعوة ووسائلها وأساليبها، فإنَّ الحكمة ضالَّة المؤمن يأخذها من أيِّ وعاء خرجت.

لذا تُعدُّ تجارب علماء السلف ودعاتهم ومواقفهم في الوقائع الدعوية، مَصْدراً مهماً من مصادر الداعية، يُعينُه على فهم المصادر السابقة، واستنباط الأحكام منها؛ لأنَّها تطبيقاتٌ عملية لمنهج الله ورسوله، ولكن مع أهمية هذه التجارب والوقائع وعظيم فائدتها، فإنَّها تبقى اجتهادات يُستفاد منها في ضوء المصادر الأصلية السابقة؛ لأنَّها اجتهادات بشرية تُخطئ وتُصيب.

ومع التأكيد على أولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم، فإنَّه لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء عَصرْهم، وتجارب الدعاة المعاصرين، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث ما يشابه وقائع العصر الذي يعيشون فيه، وما هو أكثر مطابقة لها، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها، والعلماءُ الموثَّقون في كل عصر هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم، وبالأساليب النافعة فيه، فيطلع الداعية على اجتهادات السابقين والمعاصرين من أهل الدعوة فيما طرأ من مشكلات وما واجههم من عقبات، بصرف النظر عن انتمائهم أو منهجهم الدعوي أو تخصصهم العلمي، ليتمكن الداعية من الوقوف على الراجح من الأقوال والمناسب من المواقف.

المحاضرة السادسة: خصائص الدعوة الإسلامية ومميزاتها

الخصائص: جمع خاصية، وهي كل وصف ومميز ينفرد به الشيء، وخصائص الدعوة الإسلامية، هي: أوصافها ومميزاتها التي تنفرد بها وتتميز عن غيرها من الدعوات السماوية والوضعية، فقد اجتمع فيها من الخصاص الكثير، ولا غرابة فهي تستمد هذه الخصائص من موضوعها الذي هو الإسلام خاتم الأديان، ومن مصادرها الأساسية المتمثلة بالكتاب والسنة، ومن التطبيق العملي يظهر من استقراء سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وفيما يأتي أبرز هذه الخصائص بشيء من الإيجاز:

أولاً: الرَّبانيَّة:

الرَّبانيَّة نسبة إلى الرَّبِّ سبحانه وتعالى، وهي أمُّ الخصائص ومصدرها جميعاً، فإليها ترجع الخصائص الأخرى، وتتجلى الرَّبانيَّة في الدعوة الإسلامية، من حيث: الغاية والوجهة، والمصدر، والمنهج.

أ- ربانية الغاية والوجهة:

فغاية الإسلام هي حسن الصلة بالله تبارك وتعالى ونيل مرضاته: ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾[النجم:٤٢]، فكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه يهدف إلى إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصاً لله لا لغيره؛ ولهذا كان جوهر الإسلام هو التوحيد: أن يعلم الإنسان أنَّه لا إله إلا الله، وأن يُفرده بالعبادة، فالإنسان لم يُخلق لمجرد أن يأكل ويشرب ويلهو ويلعب، ثُمَّ يموت كما قال القرآن الكريم في وصف الكفار: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ**﴾[محمد:١٢]، بل خُلِق الإنسان لغاية وحقيقة أسمى قررها القرآن عندما قال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:٥٦].

ب- ربانية المصدر:

فإنَّ مصدر الإسلام ومشرِّع أحكامه ومنهاجه هو الله تعالى، فهو وحيه إلى رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ باللفظ والمعنى: القرآن الكريم، وبالمعنى دون اللفظ: السنة النبوية، وهذا يقتضي أمرين: أنَّ الإسلام من عند الله تعالى، والثاني: العصمة، وسائر المصادر الأخرى تبع لهما.

وقد تكفل الله تعالى بحفظ هذه المصدرين من التحريف والتبديل، ففي القرآن قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحِجر:٩]، وكذلك حفظ الله عز وجل السنة من الضياع، بما هيَّأ لها من صحابة كرام نقلوها عنه، وعلماء أجلاء كتبوها ودوَّنوها، وميَّزوا الثابت منها عن غيره على مرِّ السنين، ووضعوا قواعد وضوابط قبولها وروايتها؛ وذلك أنَّ حفظ السُّنَّة من لوازم حفظ القرآن الكريم؛ لأنَّها: المُبيِّنَة له، والمُفَصِّلة لمجمله، والمُتمِّمَة لأحكامه.

ج- ربانية المنهج:

وكذلك فإنَّ المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، إنَّما هو منهج رباني خالص؛ لأنَّ مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يأتي نتيجة لإرادة فرد أو حزب أو شعب، بل جاء لأنَّ الله تعالى أراد به الهدى والنور كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً**﴾[النساء:١٧٤].

والدعوة الإسلامية بهذه الخصيصة تختلف اختلافاً جوهريّاً عن جميع الدعوات الوضعية؛ لأنَّ مصدرها الإنسان، أمَّا الإسلام فمصدره ربُّ الإنسان؛ لا يجوز إغفال هذا الفارق، أو التقليل من أهميته.

ويترتب على ربّانية الدَّعوة الإسلامية أمور عدة من أبرزها:

١- الكمال:

يترتَّب على ربانية الدعوة الإسلامية كمالها وخلوها من النقص التناقض والجهل والهوى والظلم، سواء فيما يتعلق بالعقيدة، أو الاخلاق، أو الشريعة، العبادات أو المعاملات، بخلاف الدعوات الوضعية.

٢- القداسة الهيبة:

فإنَّ كونها ربانية يُكسبها القداسة والهيبة والتعظيم، فتُوجب الالتزام، وتكون أدعى إلى سرعة الامتثال، فهي تشمل البشَر جميعاً، ولا يمتنع عن الإذعان لها أيّ إنسان مهما كانت مكانته، بخلاف الدعوات الوضعية، التي تصدر عن البشر، فليس قبول دعوة إنسان أولى من قبول دعوة إنسان آخر.

ثانياً: الشمول والتوازن والعمليَّة:

الدعوة الإسلامية تتميز بالشمول، فلا تقتصر على جانب دون آخر، فجاءت دعوة إلى الاعتقاد الصحيح، والأخلاق الحسنة، وإلى التقيد بأحكام الشرع التي شملت مناحي الحياة جميعها: الحكم، والاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، ...، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[النحل:٨٩].

وفي الوقت الذي تختص فيه الدعوة الإسلامية بالشمول، فإنَّها تتميَّز بالتوازن،[٢] فهي دعوة متوازنة فيما تدعو إليه من هداية، وما تعرضه من موضوعات، وما تعالجه من مشكلات، تحقق الانسجام بين الروح والمادة، بين العقل والقلب، بين الحقوق والواجبات، وغيرها من أوجه التوازن.

---

[٢] التوازن، هو: الانسجام والائتلاف بين أجزاء الشيء، ويقابلها: التنافر والاختلاف، ولا يشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينها، كما يُقال عن الدَّمِ في جسم الإنسان إنَّه متوازنٌ مع اختلاف نسبة تركيباته.

والدعوة الإسلامية ليست مجرد نظريات خيالية، ولا دعوة تقتصر على الاخلاقيات والمشاعر المجردة، بل هي دعوة عمليَّة، قوامها أن تتحول الأفكار في العقول، والمشاعر في النفوس إلى واقع يُطبق في الحياة العلميَّة.

ثالثاً: العموم والعالمية والاستمرار:

من بديهيات الدعوة الإسلامية وصفاتها الأصلية أنَّها عامَّة للبشر جميعاً، فلم تأتِ لطائفة معينة، أو لجنس خاصٍّ من أجناسهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[سبأ:٢٨] ، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾[الأعراف:١٥٨]، وقال رسول الله ﷺ: ((**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**)) متفق عليه.

وهذا العموم غير مقصور على فترة معينة من الزمن، أو جيل خاصٍّ من البشر، وإنما هو عموم في الزمان كما هو عموم في المكان

والدعوة الإسلامية باقية مستمرة، لأنَّها دعوة إلى الإسلام، هو باقٍ مستمر لا يزول ولا يتغير ولا يُنسخ؛ لأنَّ الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، ونبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فمعنى ذلك أنَّ الشرائع الإلهية انقطعت، وأنَّ الوحي الإلهي لم يعد ينزل على أحد، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[الأحزاب:٤٠].

رابعاً: أخلاقية الأهداف والأساليب الوسائل:

الدعوة الإسلامية أخلاقية في أهدافها وأساليبها ووسائلها، فنبل الأساليب من نبل الأهداف، وطهر الأدوات من طهر الغايات، وسلامة المنطلقات من سلامة المآلات، ففي ظل الدعوة إلى الله تنتفي القاعدة الميكيافلية، التي تجعل من الغاية مبرراً للوسيلة، من غير مراعاة حقيقة لا للغاية ولا للوسيلة، ولمَّا كانت الدعوة الإسلامية تتسم بنبل الغاية والهدف، فالغاية هي نيل رضا اله تعالى، والهدف هو التمكين لدين الله في الارض، تعيَّن أن تكون الاساليب والوسائل من جنس هذه الغاية والهدف.

خامساً: مراعاة واقع المدعوين:

الدعوة الإسلامية تأخذ بعين الاعتبار تنوُّع المدعوين، واختلاف ظروفهم الاجتماعية والثقافية، وتعدد مشاكلهم، فهي تستوعب شرائح المجتمع كلها: العالمين والجاهلين، والأغنياء والفقراء، والمؤمنين والكافرين...، وهذا المنهاج يخاطب كل شريحة مع مراعاة خصوصياتها حتى تكون الدعوة على بصيرة وفهم وعلم ودراية، ومن ثَمَّ تكون دعوة ناجحة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:١٠٨].

سادساً: تقوم على الحوار وحُسن المجادلة ولا تعتمد على الإكراه:

قامت الدعوة الإسلامية على الحوار وحُسْن المناقشة وسعة الصدر، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ تحاور مع كفار مكة، وجادل يهود المدينة، وتناقش مع وفْد نصارى نجران، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تحدّث مع نجاشي الحبشة، وتحاورا في مسائل العقيدة النصرانية وموقف الإسلام منها، كل ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[النحل:١٢٥].

لذلك عُرفت الدعوة الإسلامية بأنَّها تعتمد على الإقناع في دخول غير المسلمين إلى الإسلام، من غير إكراه أو ترهيب، قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة:٢٥٦]، ومن أبرز أمثلة ذلك ما وقع يوم فتح مكة، فقد أعطى النبي عليه الصلاة والسلام الأمان لأهلها حين دخلها شريطة كف أيديهم واعتزال قتال المسلمين، ولم يفرض عليهم الدخول في الإسلام، بل قال لهم: ((**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**)) رواه البيهقي.

ومع ذلك فإنَّ حوارات الإسلام ومجادلاته لا تحمل بين طيّاتها مداهنات النفاق، ولا تقبل التّخلي عن الثوابت العقائدية الإسلامية مجاملة للآخَرين، كما أنَّ الإسلام لا يعرف اللقاء في منتصف الطريق، كما يروّج له البعض، فقد رفض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ما عرَضتْه عليه قريش من تبادل العبادة بين الإسلام والشّرك، حيث قالوا: نعبد إلهك عاماً، وتعبد آلهتنا عاماً آخر؛ فنزل الله قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾[الكافرون: ١-٢].

المحاضرة السابعة: موضوع الدعوة: الإسلام

مقدمة: أركان علم أصول الدعوة

سبق في تعريف علم أصول الدعوة، بأنَّه: **علمٌ يَبْحثُ في الأُسُسِ والقواعدِ التي يُتَوَصَّل بها إلى تَبْليغِ النَّاسِ الإسلامَ، وتعليمِهم إيَّاه، وتطبيقِه في واقع الحياة، وِفْقَ الهَدْي النَّبوي**، وإذا نظرنا في التعريف سنجده قد تضمَّن الآتي: الإسلام، الذي يُمثل موضوع الدعوة، ومَنْ يقوم بالتبليغ، وهو: الداعي، والمُستفيد من التبليغ، وهو: الناس أو المدعو، فهذه ثلاثة أمور تمثل أركان الدعوة.

ولمَّا كان الداعي يسلك في عملية الدعوة أساليب متنوعة، ويستعمل وسائل معينة، كانت هذه تُمثل الركن الرابع من أركان الدعوة؛ فتمت أربعة أركان: **موضوع الدعوة، الداعي، المدعو، أساليبها الدعوة ووسائلها.**

موضوع الدعوة: الإسلام

لمَّا كان الإسلام هو دين الله تعالى الذي يقبله يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[آل عمران:٨٥]، وجعله خاتم الأديان، بأنَّ جعل رسوله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ خاتم والأنبياء، قال تعالى:﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[الأحزاب:٤٠]، كان لزاماً أن يكون الإسلام هو الموضوع الذي تدور حوله الدعوة.

أولاً: الإسلام لُغةً:

الإسْلامُ لغةً: الاسْتِسْلامُ وَالانْقِيَادُ وَالخُضُوْع، يُقال: أَسْلَم، أي: اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ، وسُمِّيَ المسلمُ مسلماً لخضوعه وانقياده لما جاء به النَّبيُّ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ لا يخفى أنَّ الاستسلام والانقياد والخضوع قد يكون طوعاً عن رضىً ومحبةٍ، فيكون مصحوباً بالإخلاص، وقد يكون كُرْهاً خالياً من الإخلاص.

ثانياً: الإسلام اصطلاحاً:

يُطلق الإسلام ويراد به معنيين: عام، وآخر خاص، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- الإسلام بمعناه العام:

يُطلق الإسلام بمعناه العام، أي بما هو أعمُّ من الدين الذي بعث به سيدنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ويُراد به: **الاستسلام والانقياد لله تعالى الخالق المدبر والخضوع له، وإخلاص العبادة له، وهو ما بعث الله تعالى به جميع رسله، وأمرهم بدعوة قومهم إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**[النحل:٣٦].

يقول المولى سبحانه وتعالى حكاية عن نوح عليه السلام: **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**[يونس:٧٢]، وكذلك عن إبراهيم عليه السلام: **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[آل عمران:٦٧]، وكذلك عن يعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام، فالأنبياء والرسل كانوا يدينون بالإسلام، بمعنى: الاستسلام لله تعالى والانقياد له، وإخلاص العبادة له وحده سبحانه وتعالى، ويدعون قومهم إليه، وهذا المعنى يتضمن الإقرار والاعتراف بوجوده تعالى وبربوبيته، فإنَّ الإقرار لا ينفكُّ عن الاستسلام والانقياد، وإلا فكيف ينقاد ويخضع ويستسلم لما لا يُقرُّ بوجوده؟!.

ويشترط فيه أن يكون اختيارياً لا قسرياً؛ لأنَّ الخضوع القسري لله رب العالمين - أي: لسننه الكونية - أمر عامٌّ بالنسبة لجميع المخلوقات، ولا ثواب فيه ولا عقاب، قال تعالى: **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**[آل عمران:٨٣]، فكل مخلوق خاضع لله ولسننه في وجوده وبقائه وفنائه، والإنسان كغيره من المخلوقات في هذا الخضوع القسري، أمَّا الخضوع الاختياري لله رب العالمين فهذا هو جوهر الإسلام المطلوب من الإنسان، وعليه يكون الثواب والعقاب.

إذا فالإسلام بمعناه العام يُطلق على جميع الأديان السماوية، فيشمل الإسلام، وبقية الأديان في طورها الصحيح قبل تحريف ما حُرِّف منها، ويعني: الإقرار بالرَّب الخالق المدبر، والاستسلام والانقياد له، والإخلاص له، ونلاحظ أن هذا المعنى موافق للمعنى اللغوي للإسلام.

ب- الإسلام بمعناه الخاص:

يُطلق الإسلام بمعناه الخاص، أي: الدين الذي بعث الله تعالى به سيدنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ويُراد به معانٍ عدة فيما يأتي أبرزها:

١- الإسلام هو: **الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى والإخلاص له باتباع الدين الذي جعله خاتم الأديان وبعث به محمداً** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا المعنى وإن كان متضمِّناً للمعنى العام المتقدم، إلا إنَّه أخصّ منه؛ لأنَّه يختص بالأحكام والتشريعات التي جاء بها المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه؛ لذلك يقال: أسلم الرجل إذا دخل الإسلام، دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ودان به، وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾**[المائدة:٣].

٢- الاسلام هو ما جاء في حديث جبريل عليه السلام؛ حيث جاء بهيئة أعرابي، يسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ليُسمعَ الحاضرين ويتعلَّموا أمور دينهم، جاء في الحديث: ((**أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

وآلِهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً))، فالإسلام هو ما جاء في هذا الحديث.

٣- الإسلام، هو: الأجوبة الصحيحة الحقة على الاسئلة الثلاثة التي شغلت عقول البشر قديماً وحديثاً، وتَرِد على فكر كل إنسان عندما يخلو بنفسه ويطلق عنان خواطره فيما حوله، لا سيما عندما يشاهد ميتاً، أو يمرُّ بمقبرة، ونحو ذلك.

والمقصود بالأسئلة الثلاثة: **من أين جئنا؟ ولماذا جئنا؟ وإلى أين المصير؟**

وبالإجابة الصحيحة على هذه الأسئلة يمكن أن نتصور الأمور الأساسية يقوم عليها الإسلام، وعنها تتفرع بقية المسائل والتفصيلات. تتكوّن بمجموعها وتفصيلاتها الإسلام، وفيما يأتي جواب موجز لكل واحد من هذه الأسئلة الثلاثة:

فالجواب على السؤال الأول، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾[الحج:٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[السجدة:٧-٩]، فهذه الآيات الكريمة وأمثالها تبين أنَّ الإنسان لم يكن شيئاً، كان معدوماً، فخلقه الله تعالى من تراب، ثم جعل نسله من ماء مهين، فمن جهة خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، كان خلقه من طين أو تراب، ومن جهة خلق نسله وذريته، كان خلقه من: ﴿نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾[القيامة:٣٧]، أي: من الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب.

والجواب على السؤال الثاني، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، والعبادة تتضمن معرفة الله ومحبته والخضوع له، وإتباع مناهجه التي وضعها للإنسان لتكميل نفسه، ورفعها إلى المستوى اللائق بها؛ ليظفر بالسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. فالإنسان خلق لعبادة الله بمعناها الواسع.

والجواب على السؤال الثالث، يقول الله تعالى: ﴿اللهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الروم:١١]، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزمر:٧]، فهذه الآيات الكريمة ونحوها، تبيِّن مصير الإنسان بعد موته، وهو رجوعه إلى خالقه؛ لمجازاته على أعماله في الدنيا، وإدخاله الدار التي تلائمه، فإن كان قد زكَّى نفسه بعبادة الله وصار من الطيبين فنزله في دار الطيبين: الجنة، جعلنا من أهلها، وإن كان قد دنَّس نفسه ولوَّثها بأدران المعصية وأبقى خبثها، فنزله في دار الخبيثين: جهنم، أعاذنا الله تعالى وإيَّاكم منها.

ولم يقتصر البيان على ذكر هذا المصير، ولكن أقام الأدلة العقلية على إمكان وقوعه، جواباً للمسترشدين، ودحضاً لشبهات المُشككين، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس: ٧٨، ٧٩].

ج- لا تناقض ولا اختلاف بين التعريفات الاصطلاحية للإسلام:

إنَّ التعريفات التي ذكرناها كلها صحيحة ولا تناقض فيما بينها، فكل واحد منها يستلزم أو يتضمَّن ما في التعريف الآخر، والاختلاف الذي فيها إنَّما في المعاني التي يبرزها هذا التعريف دون ذاك، وهذا القدر من الاختلاف لا يؤثر في وحدة مضمون التعاريف ودلالتها على معنى الإسلام صراحة أو بالتضمن والاستلزام.

والفائدة من تعدد تعريفات الإسلام هو أن يجد الداعي بين يديه جملة من التعريفات يستطيع أن يختار منها ما يناسب حال المدعوّ بحسب فهمه وثقافته وعلمه وسلامة فطرته، ونوع الشبهات التي غشيت قلبه، والمعاني التي هو بحاجة إلى معرفتها عن الإسلام أكثر من غيرها، فالشخص الحائر الذي قرأ الفلسفة وأثرت فيه فاشتبهت عنده الأمور، يناسبه إذا سأل عن الإسلام أن يجاب بالتعريف الثالث، وهو أنَّ الإسلام فيه الأجوبة الحقَّة الصحيحة لما يرد على ذهن الإنسان من أسئلة: من أين جئنا؟ ولماذا جئنا؟ وإلى أين المصير؟ والراغب في الإسلام الداخل فيه حديثاً يُجاب بالتعريف الثاني، وهكذا.

المحاضرة الثامنة: أركان الإسلام

ذكرنا فيما سبق حديث جبريل عليه السلام، وفيه السؤال عن الإسلام، وجواب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**))، فنصَّ على خمسة أركان، شملت أمرين: **الأول: علمي**، وهو **الإيمان والاعتقاد الصحيح**، وتمثل بركن الشهادتين، **والثاني: عملي**، وهو **العمل الصالح**، الذي تمثل بالأركان الأربع الباقية، وهي أعمال ظاهرة، وفي ذلك دلالة واضحة على أنَّ الإسلام ليس طقوس تعبدية مجردة، بل لابُدَّ أن تكون هذه العبادات، بل وسائر الأعمال، منبثقة عن العقيدة الإسلامية.

أ- الشهادتان:

١- شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ:

الشهادة في اللغة تعني: العلم والإعلام والإخبار والبيان، ولهذا سُمِّي الشاهد شاهداً؛ لأنَّه يخبر بما علم، والبيان والإخبار كما يكون بالقول يكون بالفعل، ومنه قول الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾[التوبة:١٧]، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه، أي: إنَّ أفعالهم بينت وأظهرت أنَّهم كفرة.

وتتضمن كلمة الشهادة الإقرار والاعتراف والاعتقاد، فإنَّ الشاهد يعتقد صحة ما يشهد به ويخبر عنه، فإذا شهد بما لا يعتقده كانت شهادته كاذبة؛ لأنَّ إخباره لا يطابق اعتقاده، قال تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[المنافقون:١]، فهم كاذبون لأنَّهم لا يعترفون بصحة ما يقولون، ولا يعتقدون ما يقولون، فكلمة "أشهد" إذن تدل على معنى العلم والمعرفة والبيان، وتتضمَّن معنى الإقرار والإذعان والاعتقاد.

أمَّا كلمة: **(إله)** فيُراد بها المعبود، وهي تُستعمل بهذا المعنى سواء أ كان المعبود بحقٍّ أو بباطل، فمن الأول، قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾[محمد:١٩]، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾[الجاثية:٢٣].

وفي ضوء ما سبق يكون معنى كلمة التوحيد: **(أشهد أن لا إله إلا الله): أشهد أن لا معبود بحق إلا الله**، أي: إنِّي أعلم وأقرّ وأعترف وأعتقد جازماً بأنَّ المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره هو الله تعالى وحده، وأن أُبيِّن ذلك وأظهره بلسان وأفعالي وسلوكي.

٢- شهادة أنَّ محمدًا رسول الله:

أمَّا شهادة أنَّ محمداً رسول الله، فمعناها: العلم والتصديق والاعتقاد الجازم بأنَّ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ هو رسول الله حقّاً، وإعلان ذلك وإظهاره وبيانه بالقول والعمل، أمَّا القول: فبالنطق بهذه الشهادة، وأمَّا بالعمل فيكون بإقامة سلوك الإنسان وجميع تصرفاته القولية والعملية وفق ما جاء به الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام من ربه على وجه الاتباع له، والقبول منه باعتباره رسول الله.

ورسل الله تعالى كثيرون منهم من قصَّ الله علينا من أخبارهم، وعرَّفنا بأسمائهم، ومنهم من لم يعرّفنا بهم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:٣٧]، فكل أمة من أمم الأرض جاءها رسول، وقد لا نعرفه؛ لأنَّ الله تعالى لم يخبرنا باسمه ولا برسالته، قال تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾[النساء:١٦٤].

وقد ختم الله رسالته بالرسالة الإسلامية التي أوحى بها إلى نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[الأحزاب:٤٠]، فجاءت رسالة الإسلام كاملة خالدة خاتمة للرسلات، تفي بحاجات البشر، وتعالج مشاكلهم إلى يوم القيامة، من غير حاجة إلى رسالة أخرى، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً**﴾[المائدة:٣].

ب- العمل الصالح:

ذكرنا أنَّ الأمر الثاني التي شملته أركان الإسلام، هو: **العمل الصالح**، وذروة هذا العمل الصالح تتمثل بما نصَّ عليه الحديث: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وإنَّما ذكرت هذه الأربعة لأهميتها، فلا يجوز التهاون بها، أو التقليل من أهميتها مطلقاً، ولذلك خُصَّتْ بالذكر في الحديث، وكذلك جاء ذكرها للتنبيه على أهمية العمل الصالح، وأنَّه لا يكفي التلفظ بالشهادتين، بل لابُدَّ من العمل بمضمونها.

ولما كان العمل الصالح بهذا المكان من الأهمية، كان لابُدَّ من الكلام على بعض الجوانب المهمة فيه من حيث الإجمال:

١- معنى العمل الصالح:

العمل الصالح هو العمل المرضيّ عند الله تعالى، وهو الجامع لشيئين؛ **الأول:** أن يكون وفق الشرع الإسلامي، **الثاني:** أن يكون خالصاً لله تعالى، أي: قُصِد به مرضاة الله وطاعته، فإذا فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن

مرضيًّاً عند الله، ومن ثَمَّ لا أجر فيه ولا ثواب، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً**﴾[الكهف:١١٠].

٢- مكانة العمل الصالح في الإسلام:

للعمل الصالح في الإسلام مكانة عظيمة جدًّاً؛ لأنَّه ثمرة الإيمان بالله وباليوم الآخر، وبرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وبه يظهر معنى الشهادتين، ومدى أثرهما في نفس العبد؛ لذلك جاءت الآيات الكثيرة بتأكيد ذلك، فمرة تقرنه بالإيمان، ومرة تبيِّن جزاءه الحسن، وأخرى تصريح بأنَّ ما ينفع الإنسان في آخرته هو الأعمال الصالحة، وأنَّ الله تعالى لا يضيِّع أجر من عملها وقام بها، وتارة تبيِّن الآيات أنَّ الصالحات سبب لتكفير السيئات وغفران الذنوب، وأنَّ الخسارة تلحق الإنسان لا محالة، إلّا مَنْ آمن وعمل الصالحات، ومن النصوص التي وضَّحَت هذه المعاني قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرَاً عَظِيمَاً﴾[المائدة:٩]، ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾[الرعد:٢]، ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النحل:٩٧]، ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[العصر].

٣- الإسلام شرط لقبول العمل:

إنَّ العمل المرضي عند الله تعالى بالمعنى المتقدم تضمَّن شرط قبول ضِمناً، إلا وهو اعتناق الإسلام، أي: الإيمان به، ولهذا قَرَنَ الله تعالى العمل الصالح بالإيمان، والمقصود به اعتناق الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى العالمين، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[آل عمران:٨٥]، وعلى هذا إذا قام الشخص بالعمل وفق الشرع الإسلامي من حيث الظاهر، أي: من حيث توفّر أشكال العمل الظاهرية المطلوبة في الشرع الإسلامي، وهو غير مؤمن بالإسلام ديناً وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ نبيًّاً ورسولاً، فإن عمله مردود عليه، ولا أجر فيه ولا ثواب، حتى لو كان يبتغي به مرضاة الله تعالى.

٤- الابتداع مرفوض في الإسلام:

وما دام العمل الصالح هو ما كان صحيحاً خالصاً لله تعالى، والصحيح ما كان وفق الشرع، فإنَّ الابتداع في الدين بالزيادة والنقصان لا يجوز، ولا ثواب فيه لصاحبه، حتى ولو كان بنية العبادة لله تعالى، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**))، متفق عليه، والبدعة شر من المعصية؛ لأنَّ في الابتداع تغييراً للدين ولأحكام الشرع، واتهامه له بنقصانه، أو بحاجته إلى التكميل والتشذيب والتعديل، وهذ أمر كبير جدّاً لا يجوز اعتقاده أو العمل بموجبه؛ ولهذا حذَّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ من البدع فقال: ((**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**))، رواه الإمام أحمد وأبو داود، فالخير كل الخير فيما جاء به الشرع، أو اندرج تحت أصل من أصوله.

٥- تنوع الأعمال الصالحة:

الأعمال الصالحة كثيرة، فهي جميع ما أمر الله تعالى به على وجه الوجوب والاستحباب من العبادات والمعاملات، فإذا قام بها المسلم ملاحظاً الطاعة لربه، مستحضراً التقيد بحكمه، والانقياد لشرعه، مبتغياً بذلك وجه الله تعالى، فهو

من أصحاب الأعمال الصالحة، وفي مقدمة هذه الأعمال الصالحة العبادات، وفي مقدمتها العبادات التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام، وهي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

٦- أهمية العبادات في الإسلام:

العبادات في الإسلام تنظم علاقة الفرد بربه، وتُظهر عبوديته لله تعالى على وجهٍ واضح، وهي حق الله الخالص على عباده، وفي مقدمتها كما قلنا: الصلاة وأخواتها الوارد ذكرها في الحديث، فهذه العبادات يجب الحرص عليها والدعوة إليها، ولا يجوز مطلقاً التقليل من شأنها، وهي بمجموعها تقوي الإيمان وترسخه، فهي له بمثابة الماء للنباتات، والهواء للإنسان، وهيهات أن يبقى الإيمان على قوته إذا فرَّط المسلم بها.

٧- أيُّ الأعمال الصالحة أفضل:

لاشكَّ في تفاضل الأعمال الصالحة من حيث الأجر والثواب، ومن حيث درجة طلب الشرع لها، فالفرض أفضل من المندوب، وما عظم نفعه للجماعة أفضل مما اقتصر نفعه على فاعله، والقاعدة في أفضل الأعمال الصالحة بالنسبة لشخصٍ ما: هو العمل المطلوب منه شرعاً في وقتٍ معيِّن وظرف معين، فالصلاة حين حلول وقتها أفضل من غيرها، وأوجب على المسلم أن ينشغل بها من غيرها، والجهاد في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من القيام بنوافل العبادات وطلب العلم، والصيام في وقته أفضل بالنسبة لمن وَجَب عليه من الانشغال بغيره من العبادات، وهكذا، فعلى المسلم أن يتحرَّى ما هو الأحب لله تعالى في هذا الوقت، أو في هذه الظرف القائم، فيُسارع إليه ويفضله على ما سواه، وبهذا تتحقق فيه العبودية الخالصة لله بإيثاره دائماً ما يحبه الله على ما تحبه نفسه وتهواه، وإن كان من الأعمال الصالحة.

٨- أثر العمل الصالح في صلاح الفرد والمجتمع:

للعمل الصالح، لا سيما العبادات، تأثير واضح في سلوك الفرد، فبه تزكو نفسه، وتزيد مراقبته لربه تعالى في السر والعلن، والخوف منه، فينزجر عن المعاصي والإضرار بالناس، ويسارع إلى عمل الخير، رجاء نيل الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[العنكبوت:٤٥]، ﴿**وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى**﴾[طه:٧٥-٧٦]، ولا شكَّ أنَّ مجتمعاً يكثر فيه الصالحون، سيكثر فيه الخير، يقلُّ فيه السوء والشر، فلا جرم أنَّ العمل الصالح في الإسلام له أثر كبير في صلاح الفرد والمجتمع.

المحاضرة التاسعة: تعريف الدَّاعِي وعمله ومكانته في الإسلام

الركن الثاني من أركان علم أصول الدعوة هو: الداعي، وفيما يأتي بيان تعريفه وعمله ومكانته.

أولاً: تعريف الدَّاعِي لُغَةً واصطلاحاً:

أ- الدَّاعِي لُغَةً:

اسم فاعل من دعا يدعو، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة، فيقال عمن عُرف بالدعوة: داعية.

ب- الدَّاعِي اصطلاحاً:

جاء مصطلح الداعي في مواضع عدة من القرآن الكريم، منها: قوله تعالى عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأحقاف:٣١].

والمراد بالدَّاعِي، هو: المكلَّف شرعاً بالدعوة إلى الله تعالى القائم بها، فيشمل كل مسلم متلبس بالدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨]، ولكن المسلم قد يُقصِّر في وظيفته فلا يقوم بالدعوة، وعند ذاك لا يكون داعية؛ لذا لابُدَّ من تعريف واضح لمصطلح الداعي.

يمكن استنتاج المعنى الاصطلاحي له من المعنى المختار للدعوة الذي سبق بيانه، فنقول: الداعي هو: **المُبلِّغُ للإسلام، والمُعلِّمُ له، والساعي إلى تطبيقه في واقع الحياة، وفق الهدي النبوي.**

فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أنَّ الداعية الكامل هو القائم بأعمال الدعوة جميعها.

ثانياً: عمل الدَّاعِي هو الدعوة إلى الله تعالى:

أ- الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء عليهم السلام:

إنَّ الدعوة إلى الله وظيفة رسل الله جميعاً، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم إلى الإيمان بالله تعالى، وإفراده بالعبادة، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٥٩]، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[هود:٥٠]، وعن صالح قال تعالى: ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٧٣]، وعن شعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٨٥]، وهكذا رسل الله جميعاً دعوا إلى الله تعالى، وعبادته وحده، وفي الوقت نفسه دعوا إلى التبرؤ من عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، فرسل الله هم الدعاة إلى الله، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس.

ولا شكَّ بأنَّ الداعي الأول إلى الله تعالى في الإسلام هو رسولنا الكريم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦]، وقد كرَّر القرآن الكريم الخطاب للرسول ﷺ يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها وعدم التحوّل عنها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ**﴾[القصص:٨٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[الحج:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾[الرعد:٣٦]، وقد ظلَّ ﷺ يدعو إلى ربه سبحانه وتعالى حتى أتاه اليقين من ربه، وصار إلى جواره الكريم راضياً مرضيّاً، فجزاه الله تعالى عن المسلمين خير الجزاء.

ب- الأمة الإسلامية شريكة للرسول ﷺ في الدعوة وهي واجبة عليها:

والأمَّة الإسلامية شريكة للرسول ﷺ في وظيفة الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦]، وما سبق من الآيات يدخل فيها المسلمون جميعاً؛ لأنَّ الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه، إلّا ما استُثني، والأمر بالدعوة ليس من هذا المستثنى، ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى كلَّف الأمة الإسلامية بوظيفة الدعوة إليه كما أمر بذلك رسوله الكريم ﷺ، ولا شك ما في ذلك من تشريف وتكريم.

وهذا التكليف لا يُستفاد فقط من دخولها في الخطاب الإلهي لرسوله بالدعوة إليه كما ذكرنا، وإنما هو صريح في النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية لشريفة، كما مرَّ عند بيان حكم الدعوة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٤]، وقول رسول الله ﷺ: ((**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**)).

ج- عمل الدَّاعِي هو الدعوة وليس استجابة الناس:

المطلوب من الداعي أن يدعو إلى الله، وهذا هو الواجب عليه، وليس المطلوب منه أن يستجيب الناس، قال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[العنكبوت:١٨]، فإذا كان الرسول غير مكَلَّف إلّا بالدعوة، فغيره من آحاد الأمَّة أولى أن لا يكلف بغير الدعوة، وبيان ذلك من وجهين:

<u>الأول:</u> إنَّ الإنسان لا يُكَلفُ **<u>بفعل غيره</u>**، فمثلا: لا يُكلف زيد أن يقوم عمرو بفعل الصلاة، فإن لم يصلي أثم زيد! أو أن يُكلف زيد أن لا يسرق عمرو، فإن سرق أثم! لأنَّ هذا من قبيل تكليف ما لا يُطاق، ولكن يمكن أن يُكَلَّف الإنسان أن يفعل هو فعلاً معيناً **<u>يتعلق بغيره</u>**، كدعوة الناس إلى الاسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلم مطالب ومكلَّف أن يأمر بالمعروف، وقد يستجيب المأمور، فيكون أمر الآمر سبباً لفعل المأمور، وقد لا يستجيب المأمور، ولهذا مدح الله تعالى بعض أنبيائه بأنه: ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ**﴾[مريم:٥٥]، فالذي يملكه المسلم ويكلَّف به أن يأمر غيره بالمعروف، ويدعوه إلى عبادة الله، ولا يكلف بفعل أمرٍ واجب على غيره.

<u>الثاني:</u> إنَّ الاستجابة بيد الله وحده، فهو الهادي، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[المدثر:٣١]، ولله الحجة على عباده، ولو شاء لهداهم أجمعين، لا يُسْأَل عمَّا يفعل وهم يسألون، أمَّا هداية التبليغ والبيان والدعوة فهي للرُسل ولسائر الدعاة، فهم المكلَّفون بها، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ**

مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢]، مع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦].

د- وجوب الاستمرار بالدَّعوة وإن لم يستجب أحد:

ولمَّا كان واجباً على كل مسلم أن يدعو إلى الله تعالى، فعليه أن يستمرَّ على الدعوة بلا كلل ولا ملل ولا فتور، وإن لم يستجب له أحد؛ لأنَّ واجبه البلاغ والتبيين، وعليه أن يؤدِّيه كما يؤدي سائر العبادات، ألا ترى أن نبيَّ الله نوحاً عليه السلام لبث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلّا خمسين عاماً؟!

وهكذا كان رسل الله يدعون أقوامهم مدة حياتهم، فمنهم من استجاب له قومه أو بعضهم، ومنهم من لم يستجب له أحد، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**، ...))، متفق عليه.

وقال الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): "لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يُفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، فإنَّ الذي عليه الأمر والنهي لا القبول".

ووجه الدلالة في هذا القول: إنَّ الدعوة إلى الله في رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيسري عليها معنى هذ القول، ومما يؤكد وجوب الاستمرار على الدعوة إلى الله تعالى حرمة اليأس، واحتمال الإجابة؛ لأنَّ الأمور بيد الله، فلا يستطيع الداعي أن يقطع بعدم الإجابة، فيجب عليه الاستمرار بالدعوة والوعظ والإرشاد حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ثالثاً: مكانة الدَّاعِي في الإسلام وأجره:

أ- مكانة الدَّاعِي في الإسلام:

للداعي إلى الله مكانة عظيمة جدّاً في الإسلام، فقد وصف القرآن الدعوة إلى الله بأنَّها أحسن الأقوال، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[فصلت:٣٣]، وهذه الآية كما قال أهل التفسير: عامَّة فيمن دعا إلى الله، وهو في نفسه مهتدٍ يعمل الخير ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم، فكلمة الداعي في الدعوة إلى الله – لا سيما عند الجحود وشيوع التمرُّد على الدين – هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وصاحبها بهذه الصفة من الصلاح في نفسه مع استسلامه لله رب العالمين.

ب- أجر الدَّاعِي على الله تعالى لا على العباد:

إنَّ أجر للداعي وفضله عظيم عند الله تعالى، فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير، والفضل العظيم، ففي الحديث الشريف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((**مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً**))، رواه الإمام احمد، ومسلم، وفي حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: ((**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**))، متفق عليه، إلى غير ذلك من نصوص شرعية تبين عظيم ثواب عمل الداعية، وقد سبق بيان لك عند الكلام على فضل الدعوة.

إنَّ الدَّاعي إلى الله يؤدي واجباً، ويقوم بعبادةٍ امتثالاً لأمر الله تعالى خالصة لوجهه الكريم، والأجر على العبادة يناله العابد من الربِّ الجليل تفضلاً منه وإحساناً، وعلى هذا فلا يطلب الداعي من أحد من الخلق أجراً على دعوته، لا مالاً ولا ثناء ولا جاهاً، ولا أيِّ عوض من الأعواض المادية أو المعنوية، قال تعالى مخبراً عن نبي الله نوح عليه السلام: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:٧٢.]، وقال عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى:٢٣]، أي: إلَّا أن ترعوا قرابتي معكم، فتسمحوا لي بالدعوة إلى الله تعالى، ولا تمنعوني منها، ولا تصدوا الناس عنها، وهكذا شأن جميع رسل الله يدعون الناس إلى الله، ولا يبغون منهم جزاءً ولا شكوراً؛ لأنَّ أجرهم على الله الكريم، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[ياسين:٢١].

المحاضرة العاشرة: عِدَّة الدَّاعِي

لابُدَّ للداعي وهو يسير في طريق الدعوة إلى الله تعالى من زاد يكون من جنس الدعوة التي يدعو لها، يتزود به ليتحقق له الاستمرار بالدعوة والثبات على الحق.

أ- الإيمان العميق بما يدعو إليه:

فإنَّه بقدر إيمان الداعية بدعوته، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها ينجح في دعوته، قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[مريم:١٢] وقال أيضاً: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[الأعراف:١٤٥].

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات، فقد: "جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا، فانهه عن أذانا، فقال: يا عقيل: ائتني بمحمد، فذهبت فأتيته به، فقال: يا ابن أخي، إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم، وفي مسجدهم، فانته عن ذلك قال: فحلق رسول الله ﷺ بصره إلى السماء فقال: ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟))، قالوا: نعم قال: ((مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَسْتَشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً))، قال: فقال أبو طالب: ما كذبنا ابن أخي، فارجعوا"، رواه أبو يُعلى والبزار.

أما إذا ضَعُفَ إيمان الداعي بدعوته، ونظر إليها على أنَّها مهمة ثانوية، فإنَّ سيتهاون فيها، ويَتَكِل فيها على غيره، ويتعثر في طريقه، ويعطيها من فَضْل وقته.

ب- الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه:

فالداعية أحوج من يكون إلى الاتصال الوثيق بالله عز وجل، ليستمد منه العون والتوفيق، ومن أبرز مظاهر هذه الصلة:

١- إخلاص النية له سبحانه في دعوته: فلا يرجو من ورائها إلا رضاه، ولا يتطلع من خلالها إلى مكاسب شخصية، أو منافع دنيوية، أو يتخللها شيء من الرياء.

وإن أي غفلة عن الإخلاص، قد تُحوِّلُ القَصْدَ، وتُفسد النيّة، فيضيع العمل ويحبط الأجر، كما حدث للثلاثة الذين هم أول مَنْ تُسْعَر بهم جهنم، وهم: عالم، ومُنْفِق، ومُقاتِل، قال رسول الله ﷺ: ((**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**))، رواه الإمام أحمد ومسلم.

٢- محبة الله عز وجل والإكثار من عبادته وذكره: لأنَّ الداعية الوثيق الصلة بالله، يحرص على طاعته، والتقرب إليه، بل يحرص على النوافل حرصه على الواجبات، ويتجنب المكروهات اجتنابه للمحرمات، ويزيد من القربات والطاعات حتى يتولاه الله في شؤونه جميعها، فقد جاء في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه: ((**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**))، رواه البخاري.

٣- التبرؤ من الحول والقوة: فالداعي الحق يتبرأ من حوله وقوته، ويعلم يقيناً أنَّه ما من خطوة يخطوها، ولا عمل يعمله، ولا توفيق يوافقه، ولا إنجاز يحققه، إلا بحول الله وقوته، ومنِّه وفضله، يقول الحق تبارك وتعالى مخاطباً الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿**وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[الأنفال:٦٢، ٦٣]، ويقول تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[القصص:٥٦].

إلى غير ذلك من مظاهر الصلة الوثيقة بالله عز وجل.

ج- العلم والبصيرة بما يدعو إليه:

لأنَّ أهل العلم هم الذين يستطيعون القيام بواجب الدعوة حق القيام، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[الزمر:٩]، وذلك بما أُوتوا من ميراث رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: ((**العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**))، رواه أبو داود والترمذي، وبما حباهم الله من بصيرة بدينهم، وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:١٠٨]، وما أكثر ما يسيء الجاهل إلى دعوته من حيث لا يشعر، فانظر ما فعله العابد على جهل بالذي قتل تسعة وتسعين نفساً، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((**إِنَّ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ**

عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، ...))، متفق عليه.

د- العَملُ بالعِلم والاستقامةُ في السلوك:

فلا خير في داعية لا يوافق عِلْمَهُ عَمَلَهُ، ولا يستقيم سلوكه، وإن من أخطر ما يصاب به الدعاة انفصالَ علمهم عن عملهم، وقد حذَّر المولى سبحانه وتعالى من هذه الظاهرة فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢-٣]، وقال على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨].

وإنَّ من أثر انفصال العلم عن العمل عند الدَّاعِي: أن يقول المدعوون: لو كان هذا صادقاً فيما يدعونا إليه، لطبق ذلك على نفسه وعلى من يلوذ به، وكان أسرع الناس إليه، ... الخ، وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان، ثُمَّ لا يُرى أثر ذلك في نفسه وأسرته!! فإن لسان الحال ابلغ من لسان المقال، وهذا في الدنيا.

أما في الآخرة فيكفي أن نذكر في أثر ذلك أنَّه يُخشى على هذا الصنف من الدعاة أن يكون مصيره مصيرَ ذلك الذي تندلق أقتابُ بطنه في النار، فقد جاء في الحديث الشريف: ((يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ))، متفق عليه.

هـ- الوَعي الكامل:

والمراد بذلك إدراك ما يحيط بالدعوة، فلا يغني العلم عن الوعي، فلابد للداعية من وعي شامل بأمور عدة، أبرزها:

أ- الوعي على واقع الدعوة ومتطلباتها.

ب- الوعي على واقع المدعوين من حوله.

ج- الوعي على الظروف المحيطة بالدعوة على المستوى المحلي والدولي.

د- الوعي على واقع الداعية نفسه، وما يحيط به من ظروف وأحوال.

وعلى أساس هذا الوعي: تُوضعَ الخطط، وتُحدَّدُ الأولويات، وتُعْقَد الموازنات، وبالوعي تكتمل بصيرة الداعية بدعوته، فإذا لم يَعِ الداعية هذه الأمور، تخبط في دعوته، وجَرَّ إليها النكبات والكوارث من حيث يريد الإصلاح، علم بذلك أم لم يعلم.

و- الحكمة في الأسلوب:

على الداعية أن يكون حكيماً في أسلوب دعوته، يختار لمن يدعوهم الأسلوب الحسن المناسب، فيضع كل أسلوب في محله، والحكيم هو من يُحسن الاختيار، ويضع الشيء في محله، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[البقرة:٢٦٩]، وقال أيضاً: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

المحاضرة (١١): صفات الدَّاعِي وآدابه

لما كانت الدعوة إلى الله عَملَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، كان لابُدَّ للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل، وتكون دعوته مثمرة، ومن أبرز ما يجب على الداعي التحلي به من الصفات والآداب، ما يأتي:

أ- التخلق بالخلق الحسن:

إذا كان الاتصال الوثيق بالله عز وجل أهم صفةٍ في جانب صلة الداعية بالله، فإن التخلق بالخلق الحسن أهم صفة في جانب صلة الداعية بالمدعوين، وقد وصف الله عز وجل الداعية الأول رسوله ﷺ بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:٤]، وبيَّن له أهمية الخلق بقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[آل عمران:١٥٩]، ووصف الصحابةُ رسولنا الكريم ﷺ بأنَّه: ((**أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً**))، متفق عليه.

وبيَّن لنا رسول الله ﷺ مكانة الخلق الحسن، فقال: ((**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً، أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ**))، رواه الإمام احمد وأبو داود والترمذي، وقال أيضاً: ((**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**))، رواه أبو داود والترمذي.

فعلى الداعية أن يجاهد نفسه للتحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلّي عن الأخلاق السيئة، فإنَّ العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، وجاء في الحديث الشريف: ((... **مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**، ...))، متفق عليه.

ب- إحسان الظن بالمسلمين:

على الداعية أن يحسن الظن بالمسلمين جميعاً، وأن يُجرى أحكامه فيهم على الظاهر، ويَكِلَ أمر السرائر إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[الحجرات:١٢]، وجاء في الحديث الشريف: ((**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**، ...))، متفق عليه.

ولا يعني إحسان الظن بالناس الغفلة عن واقعهم، والسكوت عن أخطائهم، ولكنه قد يعني حَمْلَ أقوالهم وأفعالهم على الأصلح، وكذلك لا يتعارض حسن الظن مع الحذر، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا**﴾[المائدة:٩٢]، واشتُهِر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قوله: (لست بالخَبّ، ولا الخب يخدعني)، أي لستُ مخادعاً، ولا المُخادع المحتال يخدعني.

ج- يَسْتُر على الناس عيوبهم:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[النور:١٩]، وقال رسول الله ﷺ: ((**لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))، رواه الإمام أحمد ومسلم.

فإنَّ الداعي في دعوته مَثَلُه مثلُ الطبيب في مهنته، قد يَطلع على بعض العورات ليعالجها، فيجب عليه سَتْرها وعدمُ فَضْح صاحبها.

د- يخالط الناس حيث تَحسن الخلطة، ويعتزلهم حيث يحسن الاعتزال:

فإن مِن مستلزمات عمل الداعية مخالطة الناس لدعوتهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد جاء في الحديث الشريف: ((**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**))، رواه الإمام أحمد وابن ماجه.

وللخلطة شروط وآداب بَيَّنها العلماء، وفصّلوها لابُدَّ من مراعاتها، فالأصل في الداعية هو الخلطة بالناس، فهم مادة دعوته وعمله، ولكن عليه أن يعرف متى يفارق الناس ويعتزلهم، وقد نبهنا المولى سبحانه تعالى إلى بعض المواضع التي يتعيَّن علينا فيها العزلة، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[الأنعام:٦٨]، وقال أيضاً: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾[النساء:١٤٠].

وقد بين رسول الله ﷺ أنَّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان من وراء الخلطة غير المنضبطة لأصحاب المعاصي والمنكرات، قال رسول اله ﷺ: ((**إِنَّ بني إسرائيل لَمَّا وَقَعَ فِيهِمُ النَّقْصُ كَانَ الرَّجُلُ فِيهِمْ يَرَى أَخَاهُ يَقَعُ عَلَى الذَّنْبِ فَيَنْهَاهُ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ الغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا رَأَى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَخَلِيطَهُ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَنَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ، فَقَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بني إسرائيل عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[المائدة:٨١] قَالَ: وَكَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَقَالَ: لَا، حَتَّى تَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ فَتَأْطُرُوهُ عَلَى الحَقِّ أَطْراً**))، رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذي.

ولا يخفى على عاقل ما يفعله الأطباء المعالجون للمرضى من الاحتياطات والتحفظ من بعض أمراض الناس مخافة التلوث بها، وانتقالها إليهم.

هـ- يُنْزِلَ الناس منازلهم، ويعرف لأهل الفضل فضلهم:

فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**أنزِلُوا النَّاسَ منازِلَهُم**))، وفي الحديث الآخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : ((**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا**))، وفي رواية: ((**وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا**))، رواه أبو داود والترمذي.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن من إجلالِ الله: إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ**))، رواه أبو داود.

فعلى الداعية ملاحظة مستويات الناس وتفاوتها، وأن ينزل الناس منزلتهم، فإنَّما يعرِفُ الفَضلَ لذوي الفَضلِ أهلُ الفَضلِ.

و- يتعاون مع غيره من الدعاة، ويشاورهم ويتناصح معهم:

قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[المائدة:٢]، ولا شكَّ أنَّ العمل الدعوي يعدُّ من أعظم أوجه البر الذي يتطلب التعاون والتشاور والتناصح، قال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[الشورى:٣٨].

وقال رسول الله ﷺ: ((**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**))، قلنا: لمن؟ قال: ((**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**))، رواه الإمام أحمد ومسلم.

إنَّ تخلُّق الدعاة بهذه الصفات ومراعاتهم لهذه الآداب والعمل بها تضعهم على الطريق الصحيح في حمل الدعوة، وكذلك هي تعمِّقُ المحبة بين الدعاة، وتدفع الشرور عنهم، وتعالج إعجابَ كل ذي رأي برأيه، وتجعلهم قريبين من المدعوين وأرجى لقبول نصحهم والاستجابة لدعوتهم؛ لذا لابُدَّ من المجاهدة القوية والمستمرة لتحصيل هذه الصفات والآداب وعدم التواني في شيء منها.

المحاضرة (١٢): تعريف المدعو وحقه وواجبه

الركن الثالث من أركان أصول الدعوة، هو: المدعو، وفيما يأتي تعريفه ، وبيان ما له من حقوق وما عليه من واجبات:

أولاً: المَدْعُو لُغةً واصطلاحاً:

أ- المَدْعُو لُغةً:

المدعو: اسم مفعول من دعاه يدعوه، فهو: مدعو.

ب- المَدْعُو اصطلاحاً:

أما معنى المدعو في الاصطلاح، فهو: **مَنْ تُوَجَّهُ إليه الدعوة، فيشمل الإنسان مطلقاً، مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته وإقليمه، قريباً كان أو بعيداً، مسلماً أو غير مسلم، ذكراً أو أنثى، ....، إلى غير ذلك من أوصاف.**

وهذا يعني أنَّ مفهوم المَدْعُو يشمل كل الناس، ويدل لهذا النصوص التي دلَّت على عموم الإسلام وعالميته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[سبأ:٢٨]، وقوله: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾[الأعراف:١٥٨]، وما أكثر النداءات القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ**﴾، ومن ذلك أيضاً قول رسول الله ﷺ: ((**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**)) متفق عليه، وهذا يقتضي عموم الدعوة الإسلامية وعالميتها وشمولها الناس جميعاً.

ثانياً: الأقربون أولى المَدْعُوِّيْن بالدعوة:

ولا يمنع هذا التعميم في تعريف المدعو أن يكون الأقربون من الداعية أولى الناس بالدعوة، وأحق بها من غيرها، فالأقربون أولى بالمعروف، وأقرب الأقربين إلى الداعية نَفْسُه التي بين جنبيه، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۞فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۞قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۞وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[الشمس:٧-١٠]، ثم أهله وأسرته، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[التحريم:٦]، وقال: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾[طه:١٣٢]، ثم يأتي جميع الأقارب والأرحام، الأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[الشعراء:٢١٤]، ثُمَّ يعمُّ الأمر الجيران وغيرهم من الناس.

فعلى الداعي أن يحذر من الغفلة التي يقع فيها بعض الدعاة اليوم، حيث ينشْغَلون بدعوة الآخرين عن دعوة أنفسهم، أو يهتمون بدعوة الأباعد أكثر من دعوة الأقارب، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة:٤٤].

ثالثاً: حقُّ المَدْعُو:

أ- المَدْعُو يُؤْتَى ويُدعى ولا يُنتظر أن يأتي بنفسه:

لعل أهم حقٍّ للمَدْعُوِّ في عنق الدعاة: أن يُؤتى ويُدعى، أي: إنَّ الداعي يأتيه ويدعوه إلى الله تعالى، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، فلابُدَّ أن يُقْصَدَ المَدْعُوُّون ويُدعَوا، أو يُرسَل إليهم، وهكذا كان يفعل الداعي

الأوّل نبينا الكريم ﷺ، يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسِم قدومها مكة ويدعوهم، ويذهب إلى ملاقاة من يقدُم إلى مكة ويدعوه، فلا يجوز تكون الدعوة لهم عَرضَاً أو مصادفة.

والسبب في قولنا إنَّ المَدْعُوَّ يُؤتى ويُدعى ولا يأتي هو:

١- إنَّ وظيفة الدَّاعي - كما سبق - هي التبليغ، قال تعالى في حق رسوله الكريم ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[المائدة:٦٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[النور:٥٤]، وهذا التبليغ قد يستلزم انتقال المُبَلِّغ إلى مكان مَنْ يُراد تبليغه؛ لاحتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه، أو أنها وصلته بصورة غير صحيحة، أو وصلته بصورة صحيحة ولكن لم تتحرك عنده البواعث لسماع الدعوة، فلأجل هذه الاحتمالات كان على الدَّاعي يأتي إلى أماكن الناس لتبليغيهم الدعوة إلى الله تعالى كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

٢- شفقته ﷺ على عباد الله، وحرصه على هدايتهم وتخليصهم من الكفر، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[الحديد:٩]، كل ذلك كان يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم، وتبليغهم الدعوة إلى الله، فعلى الدَّاعي أن يتحلى بهذه الشفقة؛ لأنَّه يقوم بالوظيفة التي كان رسول الله ﷺ يقوم بها، ألا وهي: الدعوة إلى الله تعالى.

٣- إنَّ البعيد عن الإسلام قلبه مريض، ومرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ولا يحسون به، فلا يشعرون بالحاجة إلى علاجه، فلا بُدَّ من إخبارهم بمرضهم من قِبَل الرسل الكرام والدعاة، فلا ينتظر الدعاة مجيئ المَدْعُوِّيْن إليهم ليخبروهم، بل يذهبون الدعاة بأنفسهم إليهم ويخبرونهم بالمرض والعلاج؛ لأن من أعراض مرضهم إعراضهم عن الدعوة والمجيء إلى صاحبها.

ب- لا يجوز للدَّاعي يستهين بأيِّ إنسان:

كما أن من حقوق المَدْعُوِّين: أن يُحرَص الداعي عليهم جميعاً، فلا يستهين بأحدٍ منهم ولا يستصغره، أياً كان شأنه، فيُعرض عن دعوته؛ لأنَّ من حق كل إنسان أن يُدعى، ثم إنَّ هذا الذي لا يُقيم له الدَّاعي وزناً قد يكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ الله عز وجل قد أرسل رسله إلى الناس، إعطاءً لحقهم، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى؛ لذا قرر الشارع عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم، ويُعطوا حقهم في الدعوة، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[الإسراء:١٥].

وهكذا كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه، فقام بوفاء هذا الحق، فبشر وأنذر، ولم يفرق في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير، وذكر وأنثى، وقريب وبعيد، ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد، ودعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء، ولما وقع في شيء من ذلك حرصاً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكِّر في ذلك، فقال سبحانه: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى۞أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى۞وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى۞أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾[عبس:١-٤]، فما زهد بعد ذلك بأحد.

وعندما لقِيَ النبي ﷺ عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال، ولم يقلْ في نفسه: أيّ أمل في هؤلاء المشغولين بحلق رءوسهم! بعد أن أعرضت عنه القبائل والزعامات، فأقبل إليهم وعرض عليهم دعوته، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل.

ومن بعده ﷺ خرج أصحابُهُ بالدعوة، فنشروا الدين في الآفاق، وأقاموا الحجة على الناس كافة، فالأمة المسلمة لم توجد لنفسها فحسب، وإنما وُجِدَت لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور، فكانت الأمة الداعية، قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[آل عمران:١١٠].

رابعاً: واجب المَدْعُو:

أ- الاستجابة لدعوة الحق:

إذا كان من حق المدعو أن يُدعى فلا يُهمل، فإنَّ من واجبه أن يستجيب لدعوة الحقِّ فلا يُعْرِض عنها، فهذا أهم واجبات المدعو تجاه الدعوة، فلا يمنعه من الاستجابة مانع، سواء أكان عادةً اعتادها، أم جهلاً أم كِبْراً في نفسه، أم ضعفاً في شَخْص الداعي، أم تقصيراً فيه، وما إلى ذلك، وقد أمر الله عباده بالاستجابة للحق فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[الأنفال:٢٤]، وقال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[النور:٥١]، بينما ذكر في وصف الكافرين أنَّه معرضون عن الدعوة إلى الحق، فقال: ﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾[الأحقاف:٣]، ووصفهم قائلاً: ﴿**وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾[النساء:٤٦].

المَدْعُوُّون ليسوا سواءً في الاستجابة:

ولكن لابُدَّ للداعي لكي لا يتسرب إليه اليأس والإحباط أن يعلم أنَّ الناس ليسوا سواء في الاستجابة إلى الحق وقبول الدعوة، فمنهم السريع في الاستجابة، ومنهم البطيء، ومنهم بين هذين الحدَّين في درجات كثيرة.

فمن الناس من يؤمن حالاً وبدون تردد أو تلكؤ أو تعثر، حتى كأنه ينتظر سماع الدعوة ليؤمن، ومن أمثلة ذلك: إيمان أبي بكر الصديق وإيمان السحرة بموسى، أمَّا إيمان أبي بكر فقد أخبر عنه رسولنا الكريم ﷺ؛ إذ قال: ((**مَا دعوتُ أَحَداً إِلَى الإِسلام إِلَّا كَانَتْ فِيهِ عِنْدَهُ كَبْوَة،[٣] وَنَظَرٌ وَتَرَدُّدٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافة، مَا عَكَم[٤] عَنْهُ حِينَ ذكرتُه له، وما تردد فيه**)) سيرة ابن هشام.

وكذلك إيمان السحرة الذين جاء بهم فرعون مصر لإبطال معجزة موسى -عليه السلام، وأخبرنا الله تعالى بقصتهم وإيمانهم، قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ۞فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ۞قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ۞رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ۞قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**

---

[٣] الكبوة: التأخر وعدم الإجابة.

[٤] أي: ما تلبَّث وما تأخر في الاستجابة.

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ۞قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ۞إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:٤٥-٥١].

ومن أمثلة الاستجابة البطيئة ما قصَّه الله علينا من أخبار قوم نوح عليه السلام، فإنَّه لبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً، ومع هذا لم يؤمن له إلّا القليل كما جاء في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾**[العنكبوت:١٤].

ومن ذلك أيضاً استجابة مَنْ آمن مِن الطلقاء، فلم يؤمنوا إلّا بعد فتح مكة، وبعد عداوة شديدة ومحاربةٍ دامت عشرين سنة، وهناك من لا يستجيب إلى دعوة الله، ويموت وهو كافر، نعوذ بالله من الخذلان.

ب- أن يقوم المَدْعُو بحق الإسلام:

ومن واجبات المدعو بعد أن هداه الله إلى الإسلام أن يقوم بحق الإسلام، فيقيم أمور حياته وسلوكه على مناهج الإسلام، ويعبد الله على النحو الذي أُمِرَ به وبيّنَه في قرآنه وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ، حتى لا يكون في إسلامه شوب نفاق، يقول: إنه من المسلمين، ولكنه لا يؤدي حقوق الإسلام.

المحاضرة (١٣): أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم

ينقسم الناس بعد أن تُوجّه إليهم الدعوة، فيستجيب لها مَنْ يستجيب، ويعرض عنها مَنْ يعرض إلى أصناف متعددة، قال تعالى: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[البقرة:٢١٣].

فيكون الناس بين مهتد وضال ، ومستجيب ومعرض، كما يكون منهم من يتظاهر بالهداية وهو على كفره، قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ۞يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ۞فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**[البقرة:٨-١٠].

وقد جاء في أوائل سورة البقرة ذكر ثلاثة أصناف من الناس: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، ومِنْ تَتَبُّعِ النصوص الشرعية الواردة في أصناف الناس، نستطيع تقسيم المَدْعُوِّيْن إلى صنفين أساسيين، الأول: المسلمون أو المؤمنون، والثاني: الكافرون، وذلك أنَّ مآل المنافقين يرجع إلى صنف الكافرين.

أولاً: الصنف الأول من المَدْعُوِّيْن: المسلمون وكيفية دعوتهم:

أ- أصناف المسلمين:

المسلمون أو المؤمنون: وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي بـ(أمة الاستجابة)، أي: الذين استجابوا للدعوة ودخلوا في دائرة الإسلام، ويمكن تصنيفهم من حيثيتين: الأولى: من حيث الاهتداء والضلال، والثانية: من حيث قوة الالتزام بالإسلام وضعفها، وفيما يأتي بيان ذلك بإيجاز:

١- من حيث الاهتداء والضلال:

فمن هذه الحيثية ينقسمون إلى مسلمين مهتدين، ومسلمين ضالين، وهذا التقسيم غالباً ما يُستعمل في مقام الحكم على العقائد، وبيان سلامتها؛ لأنَّ المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لا يخرجه عن الملة الإسلامية، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة في العقيدة لا يُكفَر بها، وذلك كمن أنكر مسألة أصلية شرعية متأولاً بدليل أو شبهة، كما وقع في هذا بعض الفرق كالخوارج.

٢- من حيث قوة الالتزام بالإسلام وضعفه:

ومن هذه الحيثية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: سابق بالخيرات: وهو التقي الصالح، وظالم لنفسه: وهو الفاسق الفاجر، ومقتصد: وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين.

وقد نصَّ عليها قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾[فاطر:٣٢]، وهذا الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

وقد يوجد في بعض هذه الأصناف، مِنْ صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم مما يُؤاخذون عليه، وإن لم يخرجهم من الملة، ومن هنا قيل: كفر دون كفر، وضلال دون ضلال، ومنه سُمِّيت مشابهة المنافقين في أعمالهم بالنفاق العملي، فقد ورد في الحديث الشريف: ((**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**))رواه الإمام احمد وأبو داود والترمذي، أي: عَمِلَ عَمَلَ أهل الشرك، وعُبِّر عنه بالشرك تغليظاً لفعله، وتنفيراً منه، وقال ﷺ: ((**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**))متفق عليه.

ب- كيفية دعوة المسلمين:

وتكون دعوة كل صنف من هذه الأصناف، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق والالتزام بالهدى، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير والتحقق بالتقوى، وهو ميدان فسيح، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران:١٠٢].

ويُدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره، وإلى الالتزام بأمر الله وحكمه، والتوبة من ظُلمِه لنفسه، وكثيراً ما دعا القرآن الكريم الزناةَ والمرابين والعصاة إلى التوبة.

ويُدعى المقتصدُ إلى الثبات على الطاعة، وتجنب المعصية، كما يُدعى إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[الزمر:٥٣]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾[الأعراف:٢٠١].

وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم، فلا يُسوّى بين الأصناف الثلاثة في أسلوب الدعوة ولا فيما يُدعى إليه.

كما يُدعى المسلمون (الضالون)، أي: الذين وقعوا في شيء من الضلال العقدي، إلى تصحيح عقائدهم، والرجوع عن ضلالهم، قبل دعوتهم إلى الأحكام الفرعية، والمسائل الجزئية، ولهؤلاء أساليب دعوية تناسبهم في دحض شبهاتهم، ودفع تأولاتهم الباطلة، فإذا ثابوا إلى طريقة النبوية، كانوا أحد الأصناف الثلاثة السابقة.

ثانياً: الصنف الثاني من المَدْعُوِّيْن: الكافرون وكيفية دعوتهم:

أ- أصناف الكافرين:

الكافرون: هم الذين يدخلون في اصطلاح: (أمة الدعوة)، وهو يشمل كل مَنْ لم يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]، ويمكن تصنيفهم بحسب تنوع كفرهم إلى: الجاحدين الملحدين، والمشركين الوثنيين، وأهل الكتاب، والمنافقين.

١- الجاحدون الملحدون:

وهم الذين ينكرون وجود الله عز وجل ويجحدونه، كما هو حال (الدهريين) في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[الأنعام:٢٩]، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[المؤمنون:٣٧]، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية:٢٤].

وكما هو حال الشيوعيين اليوم الذين يقولون: "لا إله، والحياة مادة"، ويقولون: "الدين أفيون الشعوب"، مما هو مشهور عنهم.

٢- المشركون الوثنيون:

وهم الذين أقروا بالخالق المدبر، ولكنهم أشركوا معه غيره في الاعتقاد أو العبادة، مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى، الذين أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣].

٣- أهل الكتاب:

وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة: كاليهود والنصارى، وسُمّوا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة، وخُصّوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية، باعتبار الأصل، كما خصهم الله بعدد من الأحكام.

٤- المنافقون:

وهم الذين يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس، وخداعهم لهم، حيث يدخلون ظاهراً بين المؤمنين، ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾[النساء:١٤٥]، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ۞اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ۞أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[البقرة:١٤-١٦]، كما قال تعالى في أوصافهم: ﴿إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ۞ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[النساء:١٤٢-١٤٣].

إنَّ الكفار في كل عصر ومصر، لا يخرجون عن هذه الأصناف الأساسية، مهما اختلفت أسماؤهم، وتنوعت أساليبهم، فقد وُجِدوا في زمنه ﷺ، ويُوجدون في الناس إلى يوم القيامة، وكلُّ واحد من هذه الأصناف يمكن أن يُصنف إلى صنفين: **الأول: كافر أصلي:** وهو الذي نشأ على الكفر، في واحد من الأصناف السابقة، **والثاني: كافر مرتد:** وهو الذي كان مسلماً ثم ارتد إلى شيء من هذه الأصناف.

وكذلك يمكن أن يُصنَّف الكفار من حيثية أخرى، وهي موقفهم من الدعوة، فمنهم الأعداء المحاربين للدعوة، ومنهم من يتخذ موقف الحياد، ومنهم من يمدُّ العون من غير إيمان، وهكذا.

ب- كيفية دعوة الكفار:

ويُدعى كل صنف من هذه الأصناف إلى الإيمان بالله وحده، وسائر أركان الإيمان، وأن الإسلام خاتم الأديان، فإن هم استجابوا لذلك، دُعوا إلى غير ذلك من الأعمال: كالصلاة والصيام، سواء أ كانوا ملحدين، أم مشركين، أم من أهل كتاب، أم منافقين، ولكن لابُدَّ من مراعاة خصوصية كل صنف منها، فالملحد الجاحد لابُدَّ من التركيز معه على مسألة إثبات وجود الخالق ووحدانيته وصدق النبوة، وذلك بإقامة البراهين العقلية، والمشرك يكون التركيز معه على واقع وحقيقة معبوداته من دون الله وأنَّها لا تضر ولا تنفع، وهكذا، والكتابي يُحاجج ببطلان عقائده وبيان عقيدة التوحيد الحقة وصدق نبوة المصطفى ﷺ، وكذلك المنافقون يُدعون إلى الإيمان بالله، وترك النفاق، فلا يُدعى من ظهر كفره كدعوة من خفي كفره، وهكذا.

والقرآن الكريم، والسنة النبوية، حافلان بأساليب دعوة الكفار، ومنهج مواجهتهم، وقد كتبت أبحاث متخصصة في أسلوب دعوة كل صنف منها.

المحاضرة (١٤): أسلوب الحكمة

الركن الرابع: أساليب الدَّعوة ووسائلها:

بعد أن تكلمنا عن الأركان الثلاثة من أصول الدعوة: (موضوع الدعوة، وهو الاسلام، والداعي، والمدعو)، نأتي الآن إلى بيان الركن الرابع، وهو: أساليبها الدعوة ووسائلها، فإنَّ الداعي عندما يدعو إلى الله تعالى يسلك أساليب متنوعة، ويستعمل وسائل معينة.

ولمَّا كان الداعي إنَّما يدعو إلى الإسلام، فإنَّ هذا يحتم عليه تحري الأساليب والوسائل المستمدة من الشرع الحنيف، وهذا مقتضى ما سبق ذكره في خصائص الدعوة الإسلامية: أخلاقية الوسائل والأهداف، وأنَّها تتصف بنبل الغاية والهدف، فالغاية هي نيل رضا الله تعالى، والهدف هو التمكين لدين الله في الارض، فلابُدَّ أن تكون أساليبه ووسائله من جنس الغاية والهدف الذي يسعى إليه.

۞ أساليب الدعوة لُغةً واصطلاحاً:

١- **الأساليب في اللغة:** جمع أسلوب، وهو الطريق، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته، ويقال: أخذ فلان في أساليبَ في القول: أي أفانينَ منه.

٢- **أما أساليب الدعوة اصطلاحاً، فهي: <u>الطرق غير الثابتة التي يسلكها الداعي لتحقيق أهداف الدعوة وغاياتها</u>.**

۞ تعدد الأساليب الدعوية وتنوعها:

ليس من السهل حصر الأساليب الدعوية نظراً لتنوعها وكثرتها، وقد نصَّ القرآن الكريم والسنة النبوية على بعضها صراحةً، في حين أشارت النصوص إلى بعضها إشارة، ومن أشهر هذه النصوص قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[النحل: ١٢٥]، فجاءت الآية القرآنية على ذكر أنواع أساسية من الأساليب الدعوية، وآمرة بالآخذ بها، وهي: **أسلوب الحكمة، وأسلوب الموعظة الحسنة، وأسلوب المجادلة.**

وكذلك أشارت النصوص إلى **أسلوب القدوة الحسنة**، كما في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾،[الأنعام:٩٠]، وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾،[الأحزاب:٢١]، وحديث رسول الله ﷺ: ((**مَنْ سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ**))، رواه مسلم.

أولاً: أسلوب الحكمة:

أ- أسلوب الحكمة لُغةً واصطلاحاً:

١- **الحكمة في اللغة**، تطلق على معانٍ عدة، منها: العَدل، والعلم، والحلم، وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويَجلُّ معناه، ويقال للرجل حكيم: إذا أحكمته التجارب، ويُقال: أحكم الأمر إذا أتقنه.

٢- **الحكمة في الاصطلاح:** عرف العلماء الحكمة بتعريفات كثيرة مأخوذة من المعنى اللغوي: **منها:** إصابة الحق بالعلم والعقل، والحكمة من الله تعالى: العلم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، أما الحكمة من الإنسان، فهي: معرفةُ الموجودات، وفعل الخيرات، **ومنها:** هي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

ومنها: وضع الأشياء مواضعها، ومنها: الإصابة في القول والعمل معاً، وغير ذلك.

ومن مجمل هذه التعريفات يمكن تعريف **أسلوب الحكمة اصطلاحاً**، بأنَّه: **<u>الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه، فيكون أسلوب الحكمة شاملاً لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه.</u>**

ب- أهمية اسلوب الحكمة وفضله:

تظهر أهمية أسلوب الحكمة ويتجلى فضله من خلال أمور عدة، منها:

١- من معنى الحكمة الذي يجمع بين العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا بتحقق الأمرين معاً.

٢- من اختيار الله عز وجل لنفسه اسم: (الحكيم) وتكراره في القرآن الكريم ما يقارب ثمانين مرة.

٣- من مَلْء قلب رسول الله ﷺ بالحكمة، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: ((**فُرِجَ سَقْفِي وأَنا بمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جاءَ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإيماناً، فأفْرَغَها**

في صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بيَدِي فَعَرَجَ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، قالَ جِبْرِيلُ لِخازِنِ السَّماءِ الدُّنْيا: افْتَحْ قالَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ)).

٤- من جعل تعليم الحكمة من أبرز أعمال النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[البقرة:١٢٩].

٥- من أمر الرباني باستعماله في الدعوة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾.

٦- من جَعْلها أفضل ما يُعطاه المرء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[البقرة:٢٦٩].

٧- مِنْ كونها مما يُتحاسد عليه في الدنيا، فعن عبدالله بن مسعود، قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)). رواه الشيخان.

وغير ذلك من أمور ونصوص تدل على فضل هذا الأسلوب وأهميته.

ج- من مظاهر أسلوب الحكمة:

من أبرز مظاهر أسلوب ترتيب الأولويات، وتقديم الأهم على المهم: فلا يُعدُّ المنهج الدعوي منهجاً حكيماً إذا لم يرتب الأولويات في الخطة، ويقدم الأمر الأهم على الأمر المهم، كأن يقدم أمور العقائد على غيرها من العبادات والأخلاق، ويقدم الفروض على المندوبات والنوافل، والمحرمات على المكروهات، والمصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض، ويقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينيات،[٥] ودرء المفاسد على جلب المصالح وهكذا.

ويدل على هذا الواقع العملي للدعوة الإسلامية في الصدر الأول، حيث بدأت الدعوة بتأسيس العقائد، ثُمَّ انتقلت إلى بيان الشريعة والأحكام...، ويدل عليه حديث معاذ رضي الله عنه، وكيف علمه رسول الله ﷺ أن يبدأ بالإيمان ثُمَّ بالصلاة، ثُمَّ بالزكاة وهكذا.

د- من الحكمة في الأسلوب مناسبته للأحوال والأعمار والمستويات:

فلا يُعدُّ المنهج حكيماً إذا ساوى بين حالة الضعف وحالة القوة ، أو بين حالة السلم أو الحرب، أو حالة عموم البلوى بالشيء وغيرها، كما لا يعدُّ حكيماً إذا لم يفرق بين الكبير والصغير، والمرأة والرجل، ولا بين العالم والجاهل، والعدو والصديق، والحاكم والمحكوم... وما إلى ذلك من أحوال ومستويات تقتضي التفريق، وفي الحديث الشريف: ((**يا عائِشَةُ لَوْلا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ - قالَ ابنُ الزُّبَيْرِ - بكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَها بابَيْنِ: بابٌ يَدْخُلُ النّاسُ وبابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابنُ الزُّبَيْرِ**))، رواه البخاري في صحيحه، وترجم له بقوله: "بابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ، فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ". وجاء في الحديث أيضاً: ((**أنزلوا الناس منازلهم**))، إلى غير ذلك من مظاهر لا تخفى على الداعية الحكيم.

---

[٥] الضروريات، هي: الأمور التي لابُدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فُقدت، لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، هي خمسة: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال. وأمّا الحاجيات، فهي: الأمور التي لا تختل الحياة بفقدها، وإنما يترتب على فقدها أن يقع الناس في الضيق والمشقة. وأمّا التحسينيات، فهي: الأمور التي لا يقع بفقدها ضيق ولا مشقة، فهي أمور الكمالية.

المحاضرة (١٥): أسلوب الموعظة الحسنة والترغيب الترهيب

بعد أن تكلمنا عن معنى الأساليب في اللغة والاصطلاح، وأوجزنا الكلام في أسلوب: الحكمة نأتي الآن للحديث عن أسلوبي: والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب.

ثانياً: أسلوب الموعظة الحسنة:

أ- أسلوب الموعظة الحسنة لُغةً واصطلاحاً:

١- **الموعظة في اللغة:** الموعظة في اللغة: مشتقة من: وعَظَه يعظِه وعْظاً، وعِظةً: نصحه وذكرَّه بالعواقب، وأمره بالطاعة وأوصاه بها.

والحسنة: مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يعظ به الإنسان ويأمر به، وبحسب أسلوب الواعظ، ومن هنا جاء الأمر بها مقيَّداً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾، فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها انصرفت إلى الحسنة.

٢- **أسلوب الموعظة الحسنة في الاصطلاح:** الموعظة الحسنة في الاصطلاح ترادف النصيحة، ويمكن تعريف أسلوب الموعظة الحسن، بأنَّه: **الأسلوب الذي يعتمد على تقديم النصح للمدعوين وإرشادهم لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.**

ب- أهمية أسلوب الموعظة الحسنة وفضله:

تظهر أهمية أسلوب الموعظة الحسنة من خلال أمور عدة، منها:

١- الأمر الرباني الصريح باستعماله في الدعوة، قال تعالى: تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[طه:٤٤]، وقال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[البقرة:٨٣]، وقال تعالى:﴿ **وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾[النساء:٦٣].

٢- جَعْلُ رسول الله ﷺ النصيحة أساس الدين، فعن تميم الداري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((**الدِّينُ النَّصِيحَة، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**)). رواه مسلم.

٣- مبايَعةُ الرسول ﷺ الصحابة عليها، فعن جرير بن عبد الله، قال: ((**بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**)).

٤- استخدام جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها، فقد أخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[الأعراف:٦٢]، وعن هود عليه السلام قوله: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾[الأعراف:٦٨]، وغير ذلك.

ج- خصائص أسلوب الموعظة الحسنة:

لأسلوب الموعظة الحسنة خصائص ومزايا كثيرة، منها:

١- لُطفُ عباراته وألفاظه، ومناسبتها للمقام، فلابُدَّ للموعظة الحسنة من عبارة لطيفة مناسبة.

٢- تنوع أشكاله وكثرتها، فيتمكن الداعية من اختيار الشكل الأنسب لكل حال وموقف.

٣- عِظَمُ آثاره في نفوس المدعوين، ويظهر ذلك من خلال:

- قبول الموعظة، وسرعة الاستجابة إليها غالباً.

- غرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين.

- محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها، بحيث يخجل الناس - إذا لم يستجيبوا - ممن يعظهم موعظة حسنة، فلا يجاهرون بمنكراتهم على الأقل، وغير ذلك من آثار لا تخفى على الداعية.

د- مظاهر أسلوب الموعظة الحسنة:

١- القول الصريح اللطيف اللين، قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[البقرة:٨٣]، ومن هذا الأسلوب ما جاء في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: ((**بيْنَما نَحْنُ في المَسْجِدِ مع رَسولِ اللهِ ﷺ، إذْ جاءَ أعْرابِيٌّ فَقامَ يَبُولُ في المَسْجِدِ، فقالَ أصْحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حتّى بالَ، ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ دَعاهُ فقالَ له: إنَّ هذِه المَساجِدَ لا تَصْلُحُ لِشيءٍ مِن هذا البَوْلِ، ولا القَذَرِ إنَّما هي لِذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والصَّلاةِ وقِراءَةِ القُرْآنِ، أوْ كما قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ قالَ: فأمَرَ رَجُلاً مِنَ القَوْمِ فَجاءَ بدَلْوٍ مِن ماءٍ فَشَنَّهُ عليه**))، رواه مسلم.

٢- الإشارة اللطيفة المفهومة، ومنه ما رواه عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ((**يا عَبْدَ اللهِ، لا تَكُنْ بمِثْلِ فُلانٍ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ**)).

٣- التعريض، والكناية المؤدّية، والتَّوْرية، ومنه ما رواه أنس بن مالك ﷺ، أنَّ نَفَراً مِن أَصْحابِ النبيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْواجَ النبيِّ ﷺ عن عَمَلِهِ في السِّرِّ؟ فَقالَ بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّساءَ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا أَنامُ على فِراشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عليه، فَقالَ: ((**ما بالُ أَقْوامٍ قالوا كَذا وَكَذا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي**)).

٤- القِصَّةُ، والخطابة المؤثرة، والفكاهة.

٥- التذكير بالنعم المستوجبة للشكر، ومن ذلك ما وقع يوم حُنَيْن، حيث قسم النبي ﷺ الغنائم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وَجَدَوا في أنفسهم من ذلك، فقامَ فيهم خطيباً، وذكرَّهم بنعمة الله عليهم، ووعظهم موعظة حسنة، والقصة في الصحيحين.

٦- المَدْحُ والذم.

٧- الترغيب والترهيب.

٨- الوعد بالنصر والتمكين.

٩- التحمُّل والصبر.

وغير ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعوين، وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة، وفي القرآن الكريم، والسنة النبوية أمثلة كثيرة لجميع هذه المظاهر.

ثالثاً: أسلوب الترغيب والترهيب:

يرتبط أسلوب الترغيب والترهيب ارتباطاً وثيقاً بأسلوب الموعظة الحسنة، لذلك ذكرنا قبل قليل أنَّه يعدُّ من مظاهره، ولكن لأهميته، لابُدَّ من أن نفرده بالكلام.

أ- معنى الترغيب والترهيب:

المراد بأسلوب الترغيب: الأسلوب الذي يعتمد على كل ما يُشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

أما المراد بأسلوب الترهيب، فهو: الأسلوب الذي يعتمد على كل ما يُخيف ويُحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة الحق أو رفضه، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

والملاحظ أنَّ القرآن الكريم مملوء بما يرغِّب الناس في قبول دعوة الإسلام، والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الاسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قِبَلِ الداعي المسلم.

ب- ما يكون به الترغيب والترهيب:

يتنوع اسلوب الترغيب والترهيب، وفيما يأتي أبرز ما يتحقق به:

١- الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية المطهرة.

فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾[محمد:١٢].

ومن السنة النبوية: كان رسول الله ﷺ يَعِدُ المبايعين له بالجنَّةِ، من ذلك ما قاله لأصحاب بيعة العقبة الأولى: ((**فإنْ وَفَّيتُم فلكم الجنَّةُ**)). وكان النبي ﷺ يمرُّ بآل ياسر وهم يعذَّبون بسبب إسلامهم، فيقول لهم: ((**صَبرًا آلَ ياسِرٍ؛ فإنَّ مَوعِدكم الجنَّةُ**)).

٢- ومع أنَّ الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب المدعوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم، وما يصيبهم من شر في حالة رفضهم، على أن لا يغفل الداعي أبدًا عن الترغيب والترهيب بالجزاء في الآخرة، ومن أدلة هذا الجواز قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً**﴾[النور:٥٥].

٣- ومن أساليب الترغيب والترهيب تذكير القوم بما هم عليه من نِعَمٍ، وأنَّ من شأن ذلك أن يدعوهم إلى طاعة الله الذي أنعم عليهم بهذه النِّعَم، والتحذير من فقدهم لها إذا امتنعوا من الاستجابة وكفروا بالله، ومع زوال النِّعَم نزول العذاب، ومن ذلك قوله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[الأعراف:٦٩].

ج- من لوازم الترغيب والترهيب:

ولما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويشاهدها ويحسّ بها ويتعرَّض لإغراءاتها، مما قد يجره إلى الركون إليه والتعلق بها ونسيان الآخرة، فلا بُدَّ إذن من تنفير المدعوين من إيثارها على الآخرة، لا من الفرار منها جملة واحدة، مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها، وقد بَيَّنَ ذلك كله القرآن الكريم خير بيان، مما يجعل أيّ مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا، بل ويجعل المدعوَّ غير المسلم منجذب إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة، وقد يجره ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا.

ومن الآيات القرآنية في هذا الباب قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[الزمر:٢١].

وفي السنة النبوية المطهرة تحذير من الدنيا وإيثارها على الآخرة وقيمتها، فجاء في الحديث الشريف: ((**مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟!**)).

د- الترغيب قبل الترهيب:

لقد علَّمنا النبي ﷺ أن نقدِّم للمدعو الترغيبَ قبل الترهيب، والتبشير قبل الإنذار، أن نرغِّبه في الإخلاص، قبل أن نرهبه من الرياء، أن نرغبه في طلب العلم ونشره، قبل أن نرهبه من الإعراض عنه وكتمانه، أن نرغبه في الصلاة في وقتها، قبل أن نرهبه من تركها أو تأخير.

ويأتي تقديم أسلوب الترغيب؛ لأنَّه أنفع وأجدى من تقديم أسلوب الترهيب، ويتَّضح هذا من موقف النبي ﷺ حين التقى عدي بن حاتم قال: ((**لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى من حَاجتهم، فو الله لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجد من يَأْخُذهُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقلة عَددهمْ، فو الله لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنْ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ، لَا تَخَافُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَايْمُ اللهِ لَيُوشِكَنَّ أَنَّ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ**))(سيرة ابن هشام)، وهذا مقتضى الأمر النبوي بالتيسير والتبشير: ((**يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا**))(راوه الشيخان).

المحاضرة (١٦): أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن

بعد أن تكلمنا عن معنى الأساليب في اللغة والاصطلاح، وأوجزنا الكلام في أساليب: الحكمة والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب، نأتي الآن للحديث عن أسلوب: المجادلة بالتي هي أحسن.

رابعاً: أسلوب المجادلة:

أ- أسلوب المجادلة لُغةً واصطلاحاً:

١- **المجادلة في اللغة:** يُقال: جادَلَهُ مجادلة وجدالاً: ناقَشَهُ، والجَدَل: اللَّدَدُ في الخصومة والقدرةُ عليها، وهو شدة الخصومة، وفي الحديث: ((**ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليه، إلّا أوتُوا الجدلَ**)) راوه أحمد والترمذي، والجَدَل: مقابلة الحُجَّة بالحُجَّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.

٢- **أسلوب المجادلة في الاصطلاح:** عرف العلماء الجَدَلُ في الإصلاح، بتعريفات عدة متقاربة:

منها: هو عبارة عن دَفْع المرءِ خَصْمهُ عن فساد قوله بحُجَّة، أو شبهة.

ومنها: مقابَلةُ الأدلة لظهور أرجحها.

ويُعبَّر عنه أيضاً بـ: المناقشة، والمناظرة، والمحاورة ، وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالاتها.

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف **أسلوب المجادلة بالحسنى**، بأنَّه: **<u>الأسلوب الذي يعتمد على الحُجَج والأدلة لنقض دعوى الخصم، وإقامة الحُجَّة عليه، وإقناعه بالحق.</u>**

ب- أنواع الجدل:

قد تكون المجادلة بالحسنة، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[النحل: ١٢٥]، وقد تكون بالباطل، قال تعالى: ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾[غافر:٥].

وفي ضوء ذلك قسم العلماء الجدل إلى: **ممدوح ومذموم**، بحسب الغاية منه، والأسلوب المتبع فيه، وكذلك بحسب ما يؤدي إليه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى خير، فهو: الجدل الممدوح.

أمَّا الجدل الذي لا يهدف إلى ذلك، ولم يسلم أسلوبه، ولا يؤدي إلى خير، فهو: الجدل المذموم؛ لذا جاء الأمر بالجدل في القرآن مقيداً: ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، وكانت المجادلة بالحسنى أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، كما نَصَّ عليه القرآن الكريم وأمر به، ويُعدَّ من أبرز أساليب المنهج العقلي.

ج- هل الجدل من أساليب الدعوة:

وفي حين يعدُّ فريق من العلماء الجدل من أساليب الدعوة، يرى البعض الآخر أنَّه ليس أسلوباً دعوياً أصليَّاً، وإنما قد يُحتاج إليه، فيكون من باب: (دَفْع الصائل)، نظراً لأصل معناه وحقيقته، واستئناساً بأسلوب الآية الآمرة بالجدل، حيث عَطَفَ الله عز وجل المجادلة على الدعوة، ولم يعطفها على الموعظة الحسنة، فقال سبحانه: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾.

ولا يترتب على هذا الخلاف أثر عملي، فمن حكمة الداعية أن يستخدم كل أسلوب في موضعه المناسب له، فلا يستخدم أسلوب الجدل إلا مع المجادل الذي ينفع معه إلا الجدل، أما من يستجيب للموعظة الحسنة فلا حاجة لمجادلته أصلاً.

د- أهمية اسلوب الجدل:

تظهر أهمية أسلوب الجدل في الدعوة إلى الله من خلال أمور عدة، منها:

١- الجَدَل أمْرٌ فِطْرِيّ، جُبِل عليه الإنسان، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[الكهف:٥٤]، فيصدر عن الكبير والصغير، والرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾[المجادلة:١]، ويصدر عن الصالح، فقال للمؤمنين معاتباً: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾[الأنفال:٦]، وعن الطالح، قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[غافر:٥]، ولابُدَّ للداعية من ملاحظة الأمور الفطرية ومراعاتها أثناء دعوته إلى الله تعالى.

٢- أَمْرُ الله باستخدامه في الدعوة، فقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦]

٣- استخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأسلوب للجدل في دعوتهم، وإقامة الحُجَّة على أقوامهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[هود:٣٢]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[الأنعام:٢٥]، ومن أشهر المناظرات والمجادلات التي ذكرها القرآن الكريم مجادلة إبراهيم عليه السلام مع النمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٢٥٨]، ومع قومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }[الأنعام: ٧٤]، إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:٨٣]، ومن ذلك مجادلات النبي ﷺ ومناظراته لليهود والنصارى.

٤- لم يزل أسلوب الجدل يحظى باهتمام الدعاة، من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا، وكتب التاريخ والسير عامرة بالكثير من النماذج والأمثلة في ذلك.

أمَّا ما نُقل عن بعض السلف من ذم الجدل، والتحذير منه، فهو محمول على الجدل المذموم، أو الجدل في القرآن الكريم، وآياته البينات.

هـ- أغراض أسلوب الجدل وفوائده:

١- تحقيق الحق وإظهار الصواب.

٢- تمحيق الباطل، ودفع الشبه وإزالة الأوهام والشكوك.

٣- كسر الخصم المبطل بقصد نصرة الحق.

٤- تمحيص الأدلة وكشفها، وتمييز صحيحها من سقيمها.

٥- دفع الزلل والخطأ، من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هـ- آداب أسلوب الجدل:

على الخائض في الجدل كأسلوب من أساليب الدعوة أن يُراعي جملة من الآداب، من أبرزها:

١- إخلاص النية لله تعالى في الجدال، فيبتغي بجداله وجه الله تعالى، ويكون قصده منه إيضاح الحق ونصرته وتثبيته، وليس المغالبة الخصم وقهره.

٢- البدء بذكر الله تعالى والثناء عليه، وسؤاله التوفيق والإعانة.
٣- ينبغي للمجادل أن يستشعر في مجلسه الوقار، ويقبل على خصمه فإنه أحسن في الأدب، وادعى للتلقي.
٤- اجتناب الهوى، والتجرد من حظ النفس، فينبغي للمجادل أن يغلِّب متابعة الحق على حظ النفس والانتصار لها ولكبريائها، ومن أبرز علامات ذلك: الرجوع إلى الحق متى ما تبين.
٥- التريث وعدم العجلة، فيمهل خصمه، ويفسح له حتى يُتمَّ كلامه، ويُبيِّن حجته، ويُورد أدلته، ولا يقطع عليه شيئاً من ذلك.
٦- إصلاح المنطق وتهذيبه، وذلك بأن يكون كلامه يسيراً واضحاً بليغاً بعيداً عن اللحن.
٧- التزام الصدق، فلا تحمله شدة المقام والرغبة في الغلبة والظهور على خصمه على الكذب.
٨- الترفق بالخصم، ومساعدته على الوصول إلى الحق، وذلك بتجنب ما ينفره ويصده عن قبول الحق، بلا تحامل على المخالف، ولا تسفيه، ولا استهزاء، حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن هدفه هو ليس الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، وهذا مقتضى المجادلة بالتي هي أحسن التي أمر الله تعالى بها.

و- خصائص أسلوب الجدل:

لأسلوب الجدل خصائص ومزايا عدة، منها:

١- **اعتماده على العلم والمعرفة:** فلا يصحُّ الجدال من غير علم، وقد أنكر القرآن على الذين يجادلون بغير علم، فقال: ﴿**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران:٦٥، ٦٦]

٢- **إقامة الحجة على الخصم وإفحامه:** فالأصل في أسلوب الجدل أن يُقيم الحُجَّة واضحة، ولا يترك للمجادِل حُجَّة يتمسك بها، أو شبهة يستدل بها على باطله، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:٢٥٨].

٣- **تنوع بواعثه ودوافعه تنوعاً كبيراً: فمنها بواعث نفسية:** كالقناعة الشديدة بفكرة ما، أو التعجب والاستغراب من أمر ما، كما حدث من جدال الملائكة لله عز وجل في خلق آدم وجعله خليفة، وتعجب المشركين من الدعوة إلى التوحيد، وقد يكون الباعث النفسي: الكبر والاستعلاء والحسد، كما حدث لإبليس، وغير ذلك من البواعث النفسية.
ومنها بواعث علمية: مثل: الاستفادة والسؤال عما يُجْهل، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها، أو دفع الشبهات المُثارة حول موضوع من الموضوعات.
ومنها بواعث اجتماعية، مثل: التحمس والتعصب لقول أو رأي أو مذهب، أو للتمسك بما كان عليه الآباء والأجداد، كما قصَّ الله تعالى عن المشركين: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾[الزخرف:٢٢، وغير ذلك.

وهذا التنوع الكبير في البواعث الجدل ودوافعه يجعل من مهمة الداعية التعرف عليها، ليعلم كيف يتعامل مع أصحابها، والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بنماذج عديدة للجدل سواء منها الجدل بين الكافرين والمؤمنين، أو جَدَلُ المؤمنين فيما بينهم، ويمكن للداعية الوقوف عليها وأخذ الدروس والعبر منها.

المحاضرة (١٧): أسلوب القدوة الحسنة

بعد أن تكلمنا عن أساليب: الحكمة والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب، والمجادلة بالتي هي أحسن، نأتي الآن للحديث عن أسلوب القدوة الحسنة.

خامساً: أسلوب القدوة الحسنة:

أ- أسلوب القدوة الحسنة لُغةً واصطلاحاً:

١- القُدوة والقِدوة في لُغَةً: الأسوة ، يقال: فلان قدوة يُقتدى به.

٢- القِدَوةُ الحسنة اصطلاحاً: المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل، وقُيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، وقد جاء في الحديث الشريف: ((**مَنْ سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ**))، رواه مسلم.

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف **أسلوب القدوة الحسنة**، بأنَّه: **الأسلوب الذي يعتمد على المثال الحسن، المتقيد بالشرع، ليتشبه به المدعوون، ويقتفوا أثره.**

ب- أقسام القدوة الحسنة:

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين:

١- **قدوة حسنة مطلقة:** أي معصومة عن الخطأ والزلل، وهذه خاصة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾،[الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[الممتحنة:٤] إلى ان قال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[الممتحنة:٦]، وقال تعالى أيضاً: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾،[الأنعام:٩٠].

٢- **قدوة حسنة مُقيَّدة:** أي أنَّ الاقتداء بها مقيد بالتزامها ما شرعه الله عز وجل؛ فهي غير معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يُقتدى بهم في أمور دون أخرى، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري، أو خطأ اجتهادي، لذا كان الاقتداء بهم مقيَّداً بموافقة شرع الله تعالى.

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوباً عاماً يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحاً حسناً، سواء كان نبياً رسولاً، أو كان تابعاً للرسل الكرام سائراً على نهجهم في قوله وفعله.

ج- أهمية أسلوب القدوة الحسنة:

تبرز أهمية أسلوب (القدوة الحسنة) من أمور عدة، منها:

١- جَعْلُ الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقَصَّ على المؤمنين قصصهم، وعرض سيرتهم، ثُمَّ أمر بإتباعهم، والاقتداء بهم فقال: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾،[الأنعام:٩٠].

٢- إنَّ من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها: أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر ممَّا يتأثرون بالقراءة والسماع، لاسيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها، وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان؛ لذلك كان اسلوب الفطر من أنجع الأساليب.

٣- إنَّ أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، وقاعدة المستفيدين منه أوسع، حتى الأمي منهم، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه.

٤- ومن هنا كان فضل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم لا يَعِدْلُه شيء، لتأسيهم المباشرة بالنَّبيِّ ﷺ، وكونهم أُسوة لمن جاء من بعدهم، قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[التوبة:١٠٠].

٥- لأهمية القدوة، نجد أنَّ القرآن اشتد نكيره على من خالف عمله قوله، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف:٢-٤]، وهو آكد فيمن يتأسى الناس به، ويرونه قدوة لهم.

د- خصائص أسلوب القدوة الحسنة:

لأسلوب القدوة خصائص ومزايا عدة، منها

١- **سهولتُه وسرعة انتقال الخير من الْمُقْتدَى به إلى الْمُقْتدَي:** لأنَّ الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه، فمجرد العمل بالخير وتطبيقه، تحصل قناعة عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق، وأنَّه ليس أمراً مثالياً مجرداً، وهذا واقع مشاهد في حياة الناس.

٢- **سلامةُ الأخذ وضمانُ الصحة:** ولاسيما في الأمور الدقيقة العملية، ومن هنا أكد النبي ﷺ عليه في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج، فقال في الصلاة: ((**صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**))، وقال في الحج: ((**خُذُوا عَنِّي مناسككم**))، بل إن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله، يعلمه كيفية الصلاة عملياً، فاقتدى به ﷺ، واقتدى الصحابة الكرام برسول الله ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ((**أنَّ جبريلَ أتى النَّبيَّ ﷺ يعلِّمُهُ مواقيتَ الصَّلاةِ، فتقدَّمَ جِبريلُ والنبي ﷺ خلفَهُ، والنّاسُ خلفَ النبي ﷺ**)). رواه النسائي.

٣- **عُمقُ التأثير في النفس البشرية**، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية، ومن هنا أشارت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، بالمبادرة إلى الحَلْق والتحلل، ليقتدي به الناس عملياً، وكان كما قالت رضي الله عنها.

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يُصلي بالناس وهو لا يريد إلا أن يُعلّمهَم صلاة النبي ﷺ وسنته، ودعا رسول الله ﷺ يوم الفتح بإناء من لَبَنٍ أو ماء، فشرب أمام الناس وأفطر، ليقتدي به الصائمون فيفطروا، وغير ذلك من خصائص لا تخفى على الداعية الحكيم.

المحاضرة (١٨): وسائل الدَّعوة

بعد أن تكلمنا عن القسم الأول من الركن الرابع من أركان أصول الدعوة، وهو: أساليب الدعوة، نأتي الآن إلى بيان وسائل الدعوة، فالداعية يحتاج لتحقيق أهدافه، والوصول إلى غايته إلى استخدام الوسائل التي تعينه على ذلك، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد ربط الأسباب بالمُسَبَبَات، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[المائدة:٣٥]، وقال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**﴾[الإسراء:٥٧].

ولاشكَّ أنَّ الدعاة إلى الله أولى الناس بابتغاء الوسائل التي تقربهم إلى الله تعالى، وتصل بدعوتهم إلى الناس، مراعاة لسنن الله في الأرض، حيث جعل من سنن الهداية إرسال الرسل الكرام، وتنزيل الكتب، وهو القادر على أن يهدي الناس جميعاً دون هذه الوسائل، فكان نجاح الدعوة متوقفاً في حياة الناس على كمال المناهج، وصحة الأساليب، وقوة الوسائل.

أولاً: وسائل الدعوة لُغَةً اصطلاحاً:

أ- **الوسائل في اللغة:** جمع، مفرده وسيلة، والوسيلة: الوُصلة، والاتصال، وهي في الأصل: ما يُتوصل به إلى الشيء ويتقرَّبُ به، يُقال: وَسَلَ إليه وسيلةً وتَوسَّلّ.

ب- **وسائل الدعوة اصطلاحاً:** ومن المعنى اللغوي لكلمة: وسائل، يمكننا تعريف وسائل الدعوة في الاصطلاح بأنها: ما يتوصل به إلى الدعوة، ولكن لما كان ما يتوصل به إلى الدعوة عاماً شاملاً لجميع ما يحتاج إليه الدعاة من أصول الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها، سواء معنوياً، أم استعمالاً لأدواتٍ مادية، أم قياماً بأعمال تطبيقية، فيصبح تعريف وسائل الدعوة الاصطلاحي، بأنَّها: **الأدوات المعنوية والمادية، التي يتوصل بها الداعية إلى تحقيق أهداف الدعوة وغاياتها.**

ثانياً: أنواع وسائل الدعوة:

تظهر كثرة أنواع الوسائل الدعوية من تعريف الوسائل بأنها ما يتوصل به من أمور معنوية ومادية، ومن خلال هذا التعريف يمكننا تقسيم الوسائل الدعوية إلى قسمين أساسيين: الوسائل المعنوية، والوسائل المادية.

أ- **الوسائل المعنوية:** والمراد بها جميع ما يُعين الداعية على دعوته من أمور قلبية، أو فكرية، وذلك كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والتفكير والتخطيط، وما إلى ذلك من أمور لا تُحَسُّ ولا تُلمس، وإنما تعرف بآثارها.

ب- **الوسائل المادية:** والمراد بها جميع ما يُعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة، وذلك كالقول، والحركة، والأدوات، والأعمال، ...الخ، وهي على كثرتها وتنوعها، إلا أنَّه يمكن تقسيمها إلى ثلاث أنواع أساسية، هي:

١- **الوسائل الفطرية**، وهي: الوسائل الموجودة في فطرة الإنسان وجبلته وتنمو بنموه، كالقول، والحركة.

٢- **الوسائل الفنية (العلمية)**، وهي: الوسائل التي يكسبها الإنسان كسباً، ويتعلمها ويتفَنَّن في إيجادها وتطويرها، كفن الكتابة، والإذاعة والتلفاز، من حيث أفكار البرامج والتخطيط لها وإعدادها، ونحو ذلك.

٣- **الوسائل التطبيقية (العملية)**، وهي: ما يقابل الوسائل العلمية، كإعمار المساجد، وإنشاء المؤسسات الدعوية، وإقامة المخيمات، والجهاد في سبيل الله، ... وما إلى ذلك.

ثالثاً: ضوابط الوسائل الدعوية:

لما كانت الدعوة الإسلامية هي دعوةٌ إلى الله تعالى، وعملاً أساسياً من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه، كان لابُدَّ أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، منضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها، فإنَّ الإسلام لا يعرف فصلاً في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل، ولا يُقرُّ بأنَّ الغاية تبرر الوسيلة – كما هو الحال في المبادئ البشرية – بل إنَّ للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج، وإنَّ أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب المناهج أو الأساليب والوسائل يُعدُّ انحرافاً للدعوة عن مسارها، وخروجاً بها عن مصادرها؛ لذا لابُدَّ من الوقوف على أبرز الضوابط الواجب مراعاتها في الوسائل الدعوية:

أ- النصُّ على مشروعية الوسيلة في الكتاب أو السنة:

فإنَّ أي وسيلة نصَّ الشارع على مشروعيتها بأن أذن باستخدامها، أو أمر بها على سبيل الوجوب أو الندب، أو صرح بإباحتها وجواز استخدامها، فهي وسيلة مشروعة بحسب نوع مشروعيتها من وجوب أو ندب أو إباحة، يلتزم الداعية باستخدامها في دعوته، وقد وردت نصوص شرعية كثيرة في ذلك، منها: الأمر بوسيلة القول، والحركة، والكتابة، والتعليم، والجهاد، والصدق، وغير ذلك من وسائل مادية ومعنوية، قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[البقرة:٨٣]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[النمل:٦٩]، وقال تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[القلم:١]، وقال تعالى: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾[العلق:٣،٤]، وقال تعالى: ﴿

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[التوبة:٧٣]، وغير ذلك من نصوص شرعية، نصت على مشروعية بعض الوسائل صراحة، أو إشارة.

ب- تجنّب الوسائل التي منعها الشرع:

فإنَّ أيَّة وسيلة نص الشارع على النهي عنها بوجه من وجوه النهي، فهي وسيلة ممنوعة بحسب نوع النَّهْي تحريماً كان أو كراهة، على الداعية أن يتجنبها، وينأى عن استخدامها، وقد وردت نصوص شرعية تنهى عن بعض الوسائل المعنوية أو المادية، من ذلك: ركون الداعية إلى الظالمين، أو اعتماد أسلوب الخداع وإخلاف الوعد والكذب في تعامله مع المدعوين، بحجة مصلحة الدعوة، أو اعتماد الداعية على الغناء المحرم كوسيلة لاستمالة المدعوين، وغير ذلك.

ج- أن تكون الوسيلة في دائرة المباح:

إنَّ أي وسيلة دعوية لم ينصَّ الشارع على مشروعيتها، ولم يأت بالنهي عنها، وإنما سكت عنها، فتدخل في دائرة الإباحة بناءً على أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة، فيسع الداعية استخدامها في دعوته؛ ذلك أنَّ النصوص الشرعية محدودة مهما كثرت، والوسائل متجددة متطورة مع تعاقب الأزمان، فلا يمكن أن تستوعب النصوصُ الحديثَ عنها، كما هو الشأن في وسيلة مُكبِّر الصوت، والمذياع وغيره من المخترعات الحديثة، فالأصل في هذا النوع من الوسائل الإباحة مالم يعرض له عارض يخرجه عن ذلك الأصل.

وهناك وسائل اختلف العلماء في حكمها بين محرم ومبيح لسبب من أسباب الخلاف أو أكثر، ولم يتضح للداعية رُجْحَان قول فيها على قول، فلا يصح وصفها عنده بمباحة أو محرمة، وإنما هي من المختلف فيه.

وقد تعددت مواقف الناس من مثل هذه الوسائل المختلف في حكمها، فمنهم من عاملها معاملة الحرام تورعاً واحتياطاً، فتجنبها وأنكر على من استخدمها، ومنهم من ترخص فيها وتوسع في استخدامها دون تحرّج وكأنها من الحلال البيّن، وذلك مثل: وسيلة التصوير الفوتوغرافي، أو وسيلة التمثيل المسرحي، أو الغناء وبعض آلاته كالدف ونحو ذلك.

د- أن لا تكون الوسيلة شعاراً للكفار:

فقد ثبت نهيُ رسول الله ﷺ عن التشبه بالكفار، وأمرُهُ بمخالفتهم ولاسيما فيما كان شعاراً لهم يعرفون به، فقد جاء في الحديث الشريف: ((**منْ تَشَبَّهَ بقومٍ فهوَ منهمْ**))، رواه أحمد وأبو داود، وجاء أيضاً: ((**خالِفُوا المُشْرِكِينَ أحْفُوا الشَّوارِبَ، وأَوْفُوا اللِّحى**))، متفق عليه.

فعلى الداعية أن يتجنب في دعوته أي وسيلة تُعدُّ شعاراً للكفار، مهما كان نوعها، كما فعل النبي ﷺ لما عُرِضت عليه مثل هذه الوسائل للدعوة إلى الصلاة، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال: ((**كانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاةَ ليسَ يُنادى لَها، فَتَكَلَّمُوا يَوْماً في ذلكَ، فَقالَ بَعْضُهُمْ :اتَّخِذُوا ناقُوساً**

مِثْلَ ناقُوسِ النَّصارى، وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقاً مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ، فَقالَ عُمَرُ: أوَلا تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنادِي بالصَّلاةِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: يا بلالُ قُمْ فَنادِ بالصَّلاةِ))، متفق عليه.

هـ- الرخصة في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في أحوال معينة:

لما كان الدين الإسلامي ديناً عملياً يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، جاء فيه الترخيص باستعمال الممنوع منه دفعاً للحرج، وتحقيقاً للضروريات والحاجيات، وكان هذا الترخيص على نوعين أساسيين هما:

١- **الترخيص ببعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال**، كما جرى في الترخيص بالكذب في مواطن معينة، فعن أمّ كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنَّها سمعت النبي ﷺ يقول: **((لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْراً، أَوْ يَقُولُ خَيْرَاً))**، متفق عليه.

٢- **الترخيص بفعل المحظورات بسبب الضرورات المُلجئة، أو الحاجات المُلِحّة:** وقد قَعَّد العلماء في هذا قاعدتين: **<u>الضرورات تبيح المحظورات</u>**، **<u>الضرورات تُقدّر بقدرها</u>**، ويدل لهذا قوله تعالى: **﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾**[الأنعام:١١٩]، وقال تعالى: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[البقرة:١٧٣].

والمراد بالضرورة ما يؤدي إلى هلاك الإنسان أو فقدان عضو من اعضائه، فيجوز للداعية في حالات الاضطرار وما شابهها أن يستخدم الوسيلة المحرمة بالقدر الذي تدفع فيه تلك الضرورة المُلجئة، والحاجة المُلِّحة، كما أباح الشارع النطق بكلمة الكفر عند الاضطرار، قال تعالى: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرَاً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[النحل:١٠٦].

ولابُدَّ من التنبيه إلى أنَّ هذا الضابط يختلف عن المبدأ الرأسمالي القائل: "الغاية تبرر الوسيلة" من عدة وجوه، من أبرزها:

١- أنَّ المُحَرِّم والمُبِيْح في الإسلام هو الشارع نفسه، توسعة على العباد، ورفعاً للحرج عنهم، أمَّا عند غير المسلمين فالأمر متروك لاجتهاداتهم وأهوائهم ومصالحهم.

٢- أنَّ الغاية التي أُبيحت من أجلها بعض الوسائل الممنوعة، محمودة دائماً في نظر الشارع، وليست مجرد مصلحة يراها المرء محمودة كانت أو مذمومة كما هي عند الآخرين.

٣- أنَّ الترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة المُلجئة أو الحاجة الملحة، كما أنَّ الضرورات تقدر بقدرها، وليس الأمر مطلقاً كما هو عند غير المسلمين.

المحاضرة (١٩-٢٠): تعريف الخطبة وضوابطها وكيفية إعدادها

بعد أن بيَّنا معنى الوسائل وأقسامها وضوابطها، نأتي الآن إلى دراسة أشهر الوسائل الدعوية وأهمها، ألا وهي: الخطابة، من حيث: تعريفها وضوابطها وكيفية إعدادها، ثُمَّ نُبيِّن أبرز صفات الخطيب الناجح وآدابه.

أولاً: تعريف الخطبة لُغَةً واصطلاحاً:

أ- **الخطبة لُغَةً:** من الفعل خطب، يقال: خطب الخطيب على المنبر خَطَابةً بالفتح، وخُطبة بالضمِّ، والخطبة، هي: كلام منثور مسجع ونحوه، والخَطْبُ بفتح الخاء وسكون الطاء الأمر العظيم، وفيه دلالة على عظيم قدر فنِّ الخَطابة.

ب- **الخطبة اصطلاحاً:** هي كلام منثور يُشافه به الجمهور بقصد الاستمالة، والتأثير، والإقناع.

ثانياً: أنواع الخطبة:

الخطبة في الإسلام لا تقتصر على الجوانب التعبدية والمسائل الروحية، بل تشمل جوانب الحياة كلها؛ لأنَّ الإسلام جاء ينظم شؤون الإنسان، ويعالج مشاكله في جوانب الحياة جميعها؛ لذلك يقول محمد الغزالي (ت١٤١٦هـ): "موضوع الخطبة الإسلامية هو الحياة الأولى والآخرة؛ لأن ذلك هو المجال الذي يعمل فيه الإسلام"، وهذا هو موضوع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

ولكن هناك من يقسم أنواع الخطب بحسب الخطيب، ومن ثَمَّ حصر عمل الدعاة بالوعظ والإرشاد، وإقصائهم عن بقية الميادين، ترسيخاً لمفهوم: فصل الدين عن الحياة والدولة والمجتمع، واعتباره قضية شخصية فردية؛ لذا فالصواب تقسيم الخُطب بحسب موضوعها، على النحو الآتي:

١- **الخطبة الوعظية:** وهي الخطب التي يكون تذكير الناس ووعظهم، وتصحيح المفاهيم، والرد على الأفكار والعقائد الباطلة، ويغلب عليها الترغيب والترهيب.

٢- **الخطبة السياسية:** وهي الخطب التي يكون موضوعها معالجة مشكلة تتعلق بسياسة الدولة والمجتمع، وبيان الحلول التي وضعها الإسلام لمثل هذه المشاكل.

٣- **الخطبة الاجتماعية:** وهي الخطب التي تُلقى في مناسبات الزواج، والتربية، والأمور العائلية، والإصلاح، والعزاء، ونحو ذلك.

٤- **الخطبة العلمية:** وهي الخطب التي تلقى في المؤتمرات والندوات العلمية المتنوعة، ونحو ذلك.

٥- **الخطبة الاحتفالية:** وهي الخطب التي تلقى في المناسبات العامة والاحتفالات، ونحو ذلك.

٦- **الخطبة الحربية (العسكرية):** وهي الخطب التي تلقى على الجيش قبل الحرب، أو أثنائها؛ لغرض زرع روح الحماس والجهاد في نفوس الجند.

ثالثاً: أهمية الخطبة وفوائدها:

تُصنف الخطابة على أنَّها من وسائل الدعوة القولية، وتُعدُّ من أهم وسائل الدعوة؛ وذلك لأهميتها وفوائدها التي تتجلى في الآتي:

١- تتميز الخطبة بأسلوب الأداء المباشر في التواصل مع الآخرين، والتزام الجمهور بها، لا سيما في الجمعة والعيدين؛ وكذلك عند وقوع أمر طارئ.

٢- تمثل الخطبة فرصة ثمينة للدعاة، لغرس القيم الإسلامية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الناس، وحثِّهم على التوبة والعمل الصالح.

٣- إثارة العواطف والحماس لدى الناس.

٤- إقناع المخاطبين بما يدعو إليه الخطيب.

٥- تعدُّ عاملاً مهماً في بناء العلاقات مع الآخرين.

٦- تعدُّ الخطبة وسيلة لتحصيل الثقافة المتنوعة، والتعليم، الذي ينعكس إيجاباً على طريق عيش الجمهور.

رابعاً: ضوابط الخطبة الناجحة:

أ- الوحدة الموضوعية:

ويكون ذلك بترابط أفكار وعناصر الخطبة، بحيث تصبُّ في موضوعها الأساسي، وتتعلق أهدافها، إذ من دواعي ملل السامعين وسامتهم لبعض الخطباء تناثر عناصر الخطبة وعدم ترابطها، بحيث يخرج المصلي أو السامع من غير معرفة ما يريده الخطيب أو ما يهدف إليه؛ لذا ينبغي للخطيب أن يركز على موضوع واحد، لكي لا تشتت أفكار الناس، وأن يراعي ترابط أفكاره، وإن اقتصرت خطبته على موضوع واحد.

ب- وضوح العبارة

إنَّ جمهور السامعين للخطيب، لا سيما في خطبة الجمعة والعيدين، هم من عامة الناس، وهذا يستلزم مراعاة الوضوح والسهولة في لُغَةَ الخطبة لتحقيق أهدافها، وهو ما علَّمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في وغرسه في نفوس أصحابه رضي الله عنهم، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، قال: (حَدِّثُوا النّاسَ، بما يَعْرِفُونَ أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ ورَسولُهُ) رواه البخاري، وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (ما أنْتَ بمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إلّا كانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً) وراه مسلم.

فالنهي هنا عن هذا النوع من الحديث؛ لأنَّ الخطب شأنها البسط والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز، والأمور الغامضة.

ج- الواقعية:

ويقصد بذلك مراعاة الخطبة لما يُحيط بالمدعوين من أحداث ومشاكل واهتمامات، ومعالجة الخطيب لذلك في ضوء الكتاب والسنة، فلابُدَّ للخطيب أن يُراعي في خطبه أن تكون عمَّا يجيش في صدور السامعين ومحل اهتمامهم وتفكيرهم، وإلا كان كمن يبذر البذر في الفضاء، وهو ما يبدد الجهد ويضيع على الداعية فرصة سانحة، فضلاً عن انعدام ثقة المدعوين بهذا النوع من الدعاة.

ومن صور الواقعية مراعاة عقول السامعين وعاطفتهم، وهو ما يستلزم من الخطيب تنوَّع منهجه بين المنهج العقلي والعاطفي بشكل يُراعي حاجات السامعين ويلائم ثقافاتهم، الأمر الذي يعود على مختلف المدعوين بقدر من الفائدة، فعمق المادة العلمية، ومنطق الخطيب يُراعي فئة المثقفين والمتعلمين، في حين المنهج العاطفي يُناسب غالب الناس، ومنهم العوام.

ومن الواقعية أيضاً مراعاة أوقات الناس وطاقات استيعابهم، ولما كان كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً كان لزاماً على الخطيب أن تكون خطبته قصيرة محددة الأهداف؛ لذلك نجد البخاري قد عقد باباً بعنوان: (باب قصر الخطبة بعرفة)، وجاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنَّه خطب فأوجز وأبلغ، فلمَّا نزل قِيل: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفَّسْتَ، فقال: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يقول:((**إنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِن فِقْهِهِ، فأطِيلُوا الصَّلاةَ، واقْصُرُوا الخُطْبَةَ، وإنَّ مِنَ البَيانِ سِحْرًا**)) رواه مسلم.

فالحديث يفيد أنَّ من علامة فقه الخطيب طول الصلاة مقارنة بالخطبة، ولكن ليس تطويلاً يشقُّ على المأمومين، فالصلاة قصد أي معتدلة، والخطبة قصد كذلك، ولكنها تكون أقصر من الصلاة.

ولا مانع من إطالة الخطبة احياناً؛ وذلك مراعاة لحدث مهم، ولكن شرط أن لا يكون ذلك سنة متبعة، بل استثناء بحسب الأمر الطارئ.

د- حُسْن الأداء:

إنَّ حسن أداء الخطيب من أهم دواعي نجاح الخطبة، فنبرة الصوت، وحركات الخطيب، وإشارته المنضبطة، وتفاعله مع ما يقول، كل ذلك يبعث الروح والحياة في الخطبة، ويُؤثر في قلوب السامعين، وإلا ستكون الخطبة جوفاء ميتة لا حراك فيها؛ ونجد مراعاة هذه الأمور ظاهرة في هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فعن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((**كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْناهُ، وَعَلا صَوْتُهُ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ، حتّى كَأنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يقولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسّاكُمْ، ويقولُ: بُعِثْتُ أَنا والسّاعَةُ كَهاتَيْنِ، وَيَقْرُنُ بيْنَ إصْبَعَيْهِ السَّبّابَةِ، والْوُسْطى، ويقولُ: أَمّا بَعْدُ، فإنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدى هُدى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلُّ بدْعَةٍ ضَلالَةٌ**)) رواه مسلم.

يقول الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): "يستحب للخطيب أن يُفَخِّم أمر الخطبة، ويرفع صوته، ويُجزل كلامه، ويكون مطابقاً للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب، ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً، وتحديده خطباً جسيماً".

ومن الأمور التي تساعد ف حسن الاداء أن يستغني الخطيب عن الاستعانة بالورقة المكتوبة ما امكن ذلك، إذ أداء الخطبة مشافهة أبلغ في التأثير، وهو ما أثر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، والصحابة رضي الله عنهم، وسائر الخطباء المُفوَّهين، فإن اضطر إلى ذلك فيمكنه كتابة عناصر الخطبة الأساسية، وخطوطها العريضة، وبعض الآيات والأحاديث التي لم يحفظها على ورقة صغيرة، يستعين بها عند اللزوم.

ثالثاً: كيفية إعداد الخطبة:

سبقت الإشارة إلى أهمية الخطبة ودورها في استيعاب المدعوين، بوصفها وسيلة من أهم وسائل الاتصال الجماهيري؛ لذا ينبغي للخطيب أن يهتم بخطوات إعداد الخطبة التي يمكن إيجازها بما يأتي:

أ- تحديد الهدف، ثُمَّ الموضوع:

ينبغي للخطيب قبل اختيار موضوع خطبته، أن يحدد الهدف الذي يريد تحقيقه لدى جمهور السامعين؛ لذا عليه أن يسأل نفسه ابتداءَ ماذا يريد؟ ومن ثَمَّ يختار موضوع المناسب لتحقيق أهدافه، ويضع له العنوان المناسب، فمثلاً: إذا رأى في الناس جهلاً في أحكام الدين، وزُهداً في التخصصات الشرعية، فإنَّ الموضوع سيكون: أهمية العلم الشرعي، أو طلب العلم فريضة وضرورة، وهكذا.

ب- جمع المادة العلمية المناسبة لموضوع الخطبة:

ينبغي للخطيب بعد اختيار موضوع خطبته أن يتزود بزاد العلم اللازم والملائم له؛ لذا عليه:

١- أن يجمع عدداً كافياً من الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع الذي تم اختياره، مستعيناً بالمعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، ومن ثُمَّ يقرأ تفسير هذه لآيات وأقوال المفسرين.

٢- جمع عدد مناسب من الأحاديث النبوية في الموضوع، وتخريجها، والوقوف على شروحها.

٣- الوقوف على آراء والفقهاء المتعلقة بالموضوع، وللخطيب أن يستعين بكتب الفقه المفهرسة حسب الموضوعات وحروف المعجم.

٤- الاطلاع على كتب السير والتاريخ والتراجم، والكتب الثقافية والأدبية، والمقالات والقصص والأمثال، والأشعار المؤثرة والمفيدة المتعلقة بموضوع الخطبة.

٥- ينبغي للخطيب الذي يُلقي الخطبة بشكل ارتجالي، أن يجمع من المادة العلمية ما يزيد عن الوقت المحدد للخطبة؛ لمعالجة إشكالية النسيان الطارئ، التي قد تعرض للخطيب أثناء الخطبة، فإذا نسي آية أو حديثاً استحضر غيره.

ج- تنسيق المعلومات وربطها بالوقع لاستنباط ما يفيد الناس:

بعد أن يجمع الخطيب المعلومات الكافية والمناسبة فإنَّ عليه أن يرتب أفكاره وفق وحدة موضوعية، وهذا يلزمه بتقسيم الخطبة إلى عناصر متناسقة ومترابطة، كأن يقسمها إلى مقدمة موضوع، ويقسمه إلى عناصر فرعية، وخاتمة، بحيث تؤدي بمجموعها إلى تحقيق أهداف الخطبة، ومن ثُمَّ يربطها بواقع المدعوين؛ ليعالج من خلال ذلك ما يعترضهم

من مشكلات، ويضع الحلول المناسبة في ضوء الشريعة، مراعياً في كل ذلك مستوى المخاطبين ونفسيَّاتهم، فلا يصطدم معهم بشكل منفر.

د- أداء تجريبي للخطبة:

بعد أن يبذل الخطيب وسعه في تحقيق الخطوات السابقة، يُفضل القيام بأداء تجريبي للخطبة، لا سيما من كان حديث عهد بالخطابة، يستحضر أسلوب التشويق والإثارة، مراعياً حسن الأداء ومتطلباته؛ للوقف على السلبيات ومعالجتها.

رابعاً: صفات الخطيب الناجح وآدابه:

لا يمكن للخطيب أن يحقق النجاح والتميُّز إلا عندما يتحلى بجملة من الصفات والآداب، ومن هذه الصفات والآداب ما هو أساسي جوهري، ومنها ما يمكن وصفه بأنَّه شكلي، فضلاً عن جملة من الأمور ينبغي للخطيب تجنبها، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- صفات الخطيب وآدابه الجوهرية:

وتتنوع الصفات والآداب بحسب متعلقها، وفيما يأتي أبرزها:

١- **ما يتعلق بالعقل:** كاتصافه بقوة الملاحظة، وسرعة البديهة، وغزارة الثقافة الإسلامية.

٢- **ما يتعلق بالقدرة البيانية:** أن يكون فصيح اللسان، سليماً من العيوب التي تعيق التأثير على الناس، كاللُّثغة، وهي: تعذر النطق بحرف، والحبسة وهي ثقل اللسان بالنطق، والتعتعة وهي التردد والصعوبة في الكلام، وقد تكون في الكلام عموماً أو في حرف معين، فإذا كانت في حرف الفاء سُمِّيت فأفأة، وإذا كانت في التاء سُمِّيت تأتأة.

٣- **ما يتعلق بالصفات النفسية:** كالإخلاص، والصبر، والثقة بالنفس، وقوة الشخصية، وقوة العاطفة، والجرأة، والشجاعة، وأن يكون محل ثقة عند السامعين.

٤- **ما يتعلق بسلوكه مع المدعوين:** كتقدير المستمعين، والرفق بهم، والتأني في دعوتهم، وإنزالهم منازلهم، والتودد إليهم، والاهتمام بهم من غير أن ينشغل بفئة على حساب أخرى، وعدم تجريحهم، أو تقنيطهم من رحمة الله تعالى.

ب- الصفات والآداب الشكلية:

هناك صفات وآداب، لا تصل أهميتها لأهمية الصفات والآداب الجوهرية، ولكن لابُدَّ للخطيب من مراعاتها؛ لأنَّها من متطلبات حُسْن الأداء، وتساعد في تركيز السامعين والحيلولة دون انصرافهم عن الخطيب وانشغالهم عن مقصود الخطبة وهدفها، ومن ذلك:

١- أن يكون الخطيب حَسَن المظهر والهيئة، طيب الريح، من غير غلو ولا مبالغة في ذلك.

٢- أن يكون في مكان مرتفع، في مواجهة المستمعين، بحيث يرونه، وتكون وقفته وسطاً فلا ينتصب انتصاباً زائداً، ولا ينحني انحناءً مفرطاً.

٣- أن يصل صوته للمستمعين، وأن يُراعي رفع صوته وخفضه بما يتناسب مع حيثيات الخطبة، من غير الإخلال بالوقار.

٤- أن يكون في سمت الوقار والسكينة، فلا يُكثر من الحركات العابثة، كفرقعة الأصابع، والعبث بلحيته، ونحو ذلك.

٥- أن يُراعي توجيه وجهه إلى مختلف الجهات، فلا يخصَّ جهة دون أخرى.

ج- أمور ينبغي لخطيب تجنبها:

ينبغي للخطيب أن يتجنب أموراً عدة، تتنافى مع غرض الخطبة، ومن أبرزها:

١- السطحية في معالجة القضايا.

٢- الأخطاء في قراءة الآيات والأحاديث.

٣- اللحن في اللغة، والكلام باللغة العامية.

٤- الاعتماد على أحاديث غير ثابتة.

٥- أن يكون صوته على نسق واحد، ووتيرة واحدة، كأن يكون مرتفعاً جداً، أو منخفضاً جداً.

٦- كثرة السجع المتكلف في الخطبة.

٧- مدح أهل الباطل والدفاع عنهم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين

وصَلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين